الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

معهد الأدب و اللغة جامعة بشار

محاضرات في مصادر اللغة و الأدب

[السنة أولى أدب]

إعداد :

أستاذ الدكتور تحريشي محمد

أستاذ لطفي بوقربة

الرواية و الجمع و التدوين

- أولا : الرواية و الجمع :

جاء في أساس البلاغة لزمخشري : رَوِيَ : هو ريان ، و هي ريا ، و هم رواء . و فد روي من الماء رياً ، و ارتوى و تروى ، و أروى إبله و رواها . و عنده رواية من الماء ، و له راوية يستسقي عليه و هو بعير السقاء .[1]

الرواية ، مثلما هو ظاهر من الدلالات اللغوية السابقة ، هي الاستسقاء . يقول ابن السكيت : (رويت القوم إذا استقيت لهم .) .[2] الرواية ، في الأصل ، متصلة بالماء و حمله و حامله . يقول الجاحظ : (الرواية هو الحمل نفسه ، و هو حامل المزادة : سميت المزادة باسم حامل المزادة . لهذا سموا حامل الشعر و الحديث رواة .) .[3] الرواية ، إذاً ، قد أطلقت على أخذ الشعر أو الحديث . يرى الجوهري أنها تتضمن معنى الاستظهار : تقول : انشد القصيدة يا هذا ، و لا تقل اروها ، إلا أن تأمره بروايتها . لذلك فإن الحمل و الاستظهار هما عنصرا الرواية الأساسيان .[4]

نشأة الرواية و مراحل تطورها :

---

[1] – الزمخشري أبي القاسم محمود بن عمر : أساس البلاغة . دار الصادر . بيروت .1979 . ص : 260 .

[2] – د . الشلقائي عبد الحميد : رواية اللغة . دار المعارف . مصر . ط :1971 . ص : 37 .

[3] – الجاحظ : الحيوان . تحقيق عبد السلام هارون . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ط : 3 .

[4] – د . الشلقائي عبد الحميد : المرجع السابق : 37 .

لم يعرف العرب في الجاهلية من أنواع الرواية غير الرواية الأدبية . و قد دفعهم إلى هذا النوع من الرواية أمران :

الأمر الأول :

الرغبة في إشباع العربي لرغبات النزوع الفني لديه . و قد تساوى في هذا الأمر المبدع و المتلقي .

الأمر الثاني :

الدفاع عن القبيلة ، و إبراز مآثرها ، و التحدث عن أيامها ، و النيل من أعدائها .

كانت الرواية في العصر الجاهلي هي الأداة الطبيعية لنشر الشعر و ذيوعه ، و لنشر الدراية به في أوساط أوسع و أشمل ، بعد أن يذاع في قبيلة الشاعر نفسه . و لهذا لم يكن الخوف من السقط و التحريف منتشرا بين الشعراء أو الرواة [1].

و كانت الطبقة التي تختص بالرواية هي طبقة الشعراء أنفسهم . فكل من كان يريد أن يصبح شاعرا ، يلزم شاعرا و يروي عنه شعره . يذكر أبو فرج الأصفهاني في كتاب الأغاني أن زهيرَ بن أبي سلمى روى عن أوس بن حجر ، ثم روى عن زهير أبنه كعب و الحطيئة ، و عن الحطيئة روى هذبة بن حشرم ، و عن هذبة روى جميل بثينة ، و عن جميل روى كثير صاحب عزة .

---

[1] – بروكلمان كارل : تاريخ الأدب العربي . ترجمة : د عبد الحليم النجار . الجزء الأول . دار المعارف . مصر . ط : 4 . 1977 . ص : 65 .

نحن ، كما يظهر من قائمة الشعراء التي يذكرها الأصفهاني ، أمام مدرسة قائمة بذاتها ، تضم في صفوفها أتباعا من الشعراء الرواة ، تسلسل طبقاتهم عبر الزمن ، تأخذ كل طبقة عن سابقتها ، و تسلم إلى لاحقتها .

و من الملاحظ ، أيضا ، أنها لم تتكوّن من شعراء قبيلة واحدة ، و إنما تكونت من شعراء قبائل متعددة جاءوا من مناطق متعددة و متباعدة .[1] هذا التعدد و التنوع يشير ، و على نحو بالغ الدلالة ، إلى أن الرواية قد استهدفت تحقيق أهداف فنية و جمالية :

أ- تعليم و تكوين الشعراء المبتدئين .

ب- ترسيخ التقاليد الشعرية ، و توارثها عبر الأجيال .

و مما يؤكد هذا المسعى الفني الذي قامت عليه الرواية في الجاهلية احتفاء العرب القدماء بالشاعر الراوية . لقد سأل الناس رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء . قال : هو الراوية . يريد بذلك أن الشاعر إذا روى استفحل ، و علل بأنه يجمع ، إلى جانب جيد شعره ، جيد غيره من الشعراء .

يؤكد المسعى، كذلك ، حرص الشعراء أنفسهم ، مهما بلغوا في مراتب الشعر ، على الانتساب إلى أساتذتهم الذين أخذوا عنهم الشعر . تروى كتب الأدب أن الحطيئة كان راوية لآل زهير حتى أصبح فحلا من فحول الشعراء ، و مع ذلك طلب من كعب بن زهير أن يمكن له عند العرب . قال الحطيئة : (قد علمت روايتي لكم أهل البيت و انقطاعي لكم ، و قد ذهب الفحول غيري و غيرك ، فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك ، و

---

[1] - د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي . دار المعارف . مصر . ط :9 . 1981 . ص : 142 . 143

تضعني موضعا بعدك ، فإن الناس لأشعاركم أروى و إليها أسرع .) .فقال كعب :

– فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ثوى كعب و فوز جرول [1]

قامت في الجاهلية رواية أخرى نهض بها غير الشعراء من جمهرة الناس العادين . فقد كان أفراد القبيلة الواحدة يروون شعراء قبيلتهم . فقد عاب بني بكر على قبيلة تغلب كثرة ترديدها لمعلقة بن كلثوم . يقول أحدهم في هذا الصدد :

– ألهى بني تغلبٍ عن كلّ مكرومةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كـــلثوم

– يرونـــها أبـــدا مذ كان أولهـــــــــم يا للرجال لشعر غيـــر مشؤوم [2]

و كان كثير من أفراد القبائل يشاركون أبناء القبائل الأخرى في رواية الشعر ، فظهر عدد من الحفظة و الرواة يتناقلون الشعر في المناسبات العديدة كالسفر ، و الحج ، و سوق عكاظ .

و مهما يكن فإن الشعر العربي في الجاهلية و ما اتصل به من معطيات و أخبار ظل ، و لأمد طويل ، خاضعا لعوامل النقل الشفوي . فقد كان لكل شاعر جاهلي كبير ، على وجه التقريب راوية يصحبه ، يروي عنه أشعاره ، و ينشرها بين الناس ، و ربما احتذى آثاره الفنية من بعده ، و

---

[1] – د . الشلقائي عبد الحميد : المرجع السابق : ص :38، 39

[2] – د. شوقي ضيف : المرجع السابق . ص :

زاد عليها من عنده . و قد كان هؤلاء الرواة يعتمدون على الرواية الشفوية و لا يستخدمون الكتابة إلا نادرا . [1]

اعتنى العرب في العصر الإسلامي بالرواية . فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – شغوفا بالشعر ، يذكر الأصفهاني عن ابن عباس – رضي الله عنه – حكاية : يقول ابن عباس :

(خرجت مع عمر في أول غزوة غزاها ، فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس أنشدني لشاعر الشعراء . فقلت من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبي سلمى ... فأنشدته حتى برق الفجر .) .

و يروى أيضا عن ابن الخطاب – رضي الله عنه – أنه يوما لقي بعض ولد هرم بن سنان فاستنشده شعر زهير في أبيه فأنشده . فقال له : إنه كان ليحسن فيكم القول . قال : و نحن و الله كنا لنحسن له العطاء . فقال : – لقد ذهب ما أعطيتموه و بقي ما أعطاكم .)

و يروى عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها كانت كثيرة الرواية للشعر ، تروي كل شعر لبيد ، و تقول : (أنني لأروي ألف بيت له ، و أنه أقل ما أروي لغيره .) و تقول : (رويت من شعر بن مالك أشعارا منها قصيدة فيها أربعون بيتا و دون ذلك .) و كانت – رضي الله عنها – توصي المسلمين برواية الشعر و تقول : (رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم) . [2]

---

[1] – بروكلمان كارل : المرجع نفسه . الجزء الأول . ص : 64 ، 65

[2] – د . الشلقائي عبد الحميد : المرجع السابق : ص : 48 .

و الواضح من الأمثلة المذكورة مدى عناية المسلمون بالرواية الأدبية .

و قد تعاظم اعتنائهم بها بفعل عوامل جديدة :

الحنين إلى الأوطان ، وذلك اثر توسع الدولة الإسلامية .

ظهور حلقات العلم ، و تناميها في سائر مساجد الحواضر الإسلامية.

تبلور مفهوم الرواية بتأثير حركة تدوين الحديث النبوي الشريف في عهد عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه . لذلك التصق مدلولها بعلم الحديث ، و ارتبط بمفاهيم جديدة : كالإسناد ، و المتن ، و التجريح ..

يقصد علماء الحديث بالرواية نقل الحديث ، و الإحاطة بطرق أسانيده ، و ضبط ألفاظها في السند و المتن ، و تحقيق الأسماء ، و كل ما يتصل بالنقل الصحيح المضبوط للحديث في شقيه : السند ، و المتن ، دون البحث في أحول كل منهما .

لذلك لم يشترط العلماء من العامل بالرواية الحكم على مرتبة الحديث بالصحة و الضعف ، و إنما اشترطوا فيه الدقة و الأمانة و نقل ما يسمع نقلا حرفيا من غير تعديل أو تبديل . [1]

إن عناية علماء الحديث بالرواية و شروطها قد ساهم ، و بقسط وافر ، بالارتقاء بالرواية في سائر المجالات ، و من ذلك رواية الأدب و اللغة . لذلك و ما كاد ينتهي العصر الأموي ، و يبدأ العصر العباسي الأول حتى ظهرت طبقة من الرواة المحترفين الذين اتخذوا رواية الشعر عملا أساسيا يرتزقون منه . و قد كانوا تقريبا من سكان الحواضر ، عاشوا في

---

[1] – د . بكري شيخ أمين : أدب الحديث النبوي الشريف . دار الشروق . ط :5 . 1981 . ص : 22 .

الكوفة و البصرة ، و لم يكونوا يقفون عند رواية الشعر ، بل أضافوا إليها كثيرا من الأخبار و أيام العرب .

كان هؤلاء الرواة يقيمون حلقات الدرس في المساجد ، يحاضرون فيها للطلبة و الأتباع . و كانوا أثناء حصص الدرس يروون ما يحفظونه من شعر ، ثم يفسروا ما بالأشعار من غريب اللغة ، و قد يتعرضون ، كذلك ، لمناسبة النص و أهم هؤلاء الرواة : أبو عمرو بن العلاء ، حماد الراوية ، خلف الأحمر ، محمد بن السائب الكلبي ، و المفضل الضبي .

و قد استقى هؤلاء الرواة الأشعار و الأخبار من القبائل و الأعراب . و كان بعضهم ، نظرا لتأثرهم الواضح بعلم الحديث و طرق تحقيقه من جهة ، و نظرا لتمسكهم بمقياس الفصاحة التي لم يدنسها الاختلاط بالأجناس غير العربية ، يتحرون الدقة و لا يأخذوا الشعر أو الأخبار إلا من منطقة نجد حيث قبائل بني أسد و تميم المعروفة بالفصاحة [1] .

و من أبرز الأسباب التي أدت إلى ازدهار الرواية في مطلع العصر العباسي :

تفسير ألفاظ القرآن الكريم ، فقد جرت عادة المفسرين مند ابن عباس – رضي الله عنه – الاستشهاد بأشعار الجاهلية في شرح ألفاظ الذكر الحكيم ظهور و تنامي حركة جمع اللغة ، و بروز علوم اللغة من نحو و صرف و بلاغة ، و ظهور حركة النقد .

لقد اقترنت الرواية ، مثلما ذكرنا ، ببواعث الحركة العلمية ، فلم تعد ، كما كانت في الجاهلية أو صدر الإسلام قائمة على الارتجال خاضعة

[1] – د . شوقي ضيف : المرجع السابق . ص : 148 . 149.

، مثلما يؤكد ذلك بلاشير ، للمفاجآت و صدف و جموح الأهواء و تقلبات الحوادث على القبيلة التي تنقل الأخبار و الشعر [1]، إنما أصبحت نشاطا علميا منتظما يقوموا به العارفون من أهل الخبرة و الدراية .

أصبحت كذلك جزءً من الحركة العلمية تقوم على أهداف و طرق و مناهج . تتصل بمختلف العلوم و تمدها بما تحتاجه من مواد لغوية و أدبية مختلفة . لا تعتمد على الحفظ و الاستظهار ، و إنما تستند ، كذلك ، على الجمع ، و التصنيف ، و الكتابة ، و التدوين . يذكر بلاشير عن أبي عبيدة أن أبا عمر أبي العلاء كان يولي عنايته للتدوين أيضا ، فكانت كتبه التي كتبها عن فصحاء العرب قد ملأت بيتا له قريبا من السقف . [2]

تطورت الرواية و تنوعت روافدها ، فظهرت الرواية اللغوية ، و انقسمت إلى مدرستين ، و هما : مدرسة الكوفة ، و مدرسة البصرة .

مدرسة الكوفة :

و قد اشتهرت بالتساهل في الرواية . لذلك كثر فيها الوضع ، و تضخمت رواياته . يقول عنها الإمام مالك بن أنس – رضي الله عنه – بأنها دار الضرب ، لأن الأحاديث النبوية توضع بها بوفرة ، كما تضرب النقود . يقول أبو الطيب اللغوي في الأمر نفسه : (و الشعر بالكوفة أكثر و أجمع منه بالبصرة ، و لكن أكثره مصنوع و منسوب إلى من لم يقله . و ذلك بّين في دواوينهم .).

---

[1] – بلاشير رجيس : تاريخ الأدب العربي . ترجمة د . إبراهيم الكبلني . المؤسسة الوطنية للكتاب

[2] – المرجع السابق الهامش رقم (232) ص : 118 .

تزعم هذه المدرسة حماد الراوية ، و هو من الموالي . ولد حوالي 95ه و توفي حوالي 156ه أو 164ه . كان في بداية حياته قاطع طريق ، غير أنه ذات يوم سرق رجلا ، و أخذ منه مالا و صحائف كتب عليها شعر ، فحفظه ، ثم أصبح من أعلم الرواة . اشتهر بالوضع .

مدرسة البصرة :

و كانت أكثر تشددا في الرواية ، حريصة على الدقة و الأمانة في النقل . ترأسها عمرو بن العلاء ، و هو أحد العلماء المؤسسين لمدرسة البصرة النحوية . يعد واحدا من القراء السبع الذين أخذت عنهم تلاوة الذكر الحكيم . و لد حوالي 70ه و توفي حوالي 154ه أو 159ه . كان أعلم الناس بالعربية و القرآن الكريم و الشعر . [1]

[1] – شوقي ضيف : المرجع السابق . ص : 149 ، 150، 151، 152

ثانيا التدوين :

جاء في أساس البلاغة لزمخشري : دوّن الكتب : جمعها . و هو ديوان الحساب ، و هي دواوينه . [1]

جاء في قاموس المحيط : و الديوان و بفتح : مجتمع الصحف و الكتاب يكتب فيه أهل الجيش ، و أهل العطية . و أول من وضعه عمر – رضي تعالى عنه . [2]

نشأة حركة التدوين و مراحل تطورها :

ارتبطت حركة التدوين في مسيرة نشأتها و تطورها بمراحل وسيلة التدوين ، و هي الكتابة ، و بالأدوات اللازمة لها ، و في مقدمتها الورق .

أ) – أداة التدوين : الخط العربي :

تجمع الدراسات على أن العرب قد عرفوا الكتابة منذ العصر الجاهلي في مراكز التحضر المنتشرة في الشمال الشرقي و في الشمال الغربي من شبه الجيرة العربية ، و في الحجاز ، و في اليمن جنوبا .

يذكر كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي أن أهل اليمن استعملوا الكتابة في نقش الآثار الدينية و القانونية منذ

---

[1] – الزمخشري أبي القاسم محمود بن عمر : أساس البلاغة . ص : 199

[2] – الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب : قاموس المحيط . المجلد الرابع . دار الفكر . بيروت . 1983 . ص :224 ..

ألف سنة قبل الميلاد . و لا ندري هل استعملوها في أغراض الحياة المختلفة أو في تسجيل الفن الكلامي .

يشير بروكلمان ، و في السياق نفسه ، إلى أن أهل الشمال في نجد و ثهامة ، و بدرجة أقل من اليمانيين ، عرفوا الكتابة في النقوش ، مثلما تظهر ذلك الآثار المسماة باللحانية و بالثمودية [*]. هذه الآثار قد نقشت بخط قريب إلى خط ألف ياء اليمني القديم .

و قد نصلب على قبر امرئ القيس بن عمرو اللخمي ، بالقرب من دمشق في الموقع المعرف بنمارة تذكار يعود تاريخه إلى سنة 328م نقش بخط مشتق من الخط الآرامي . و يبدو من مجموع الشواهد و الدلائل أن أهل الحيرة ، و على الخصوص سكان الأديرة قد كتبوا بعض أشعار بالخط نفسه .

---

* – النقوش اللحانية و الثمودية هي قسم من النقوش العربية القديمة الشديدة الصلة باللغة ا|لآرامية ، و هي مدونة بخط المسند أو بخط مشتق منه . مادتها ضحلة تتكون من أسماء الأعلام و بعض العبارات القصيرة . تشمل هذه النقوش ، بحسب المناطق التي اكتشفت فيها أو القبائل التي استخدمتها ، ثلاثة نقوش ، و هي :

– **النقوش اللحانية** : تنتسب إلى قبائل ليحان . تعود أقدمها إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد ، و أحدثها إلى القرن السادس ميلادي . دونت بخط المسند من اليمين إلى الشمال .

– **النقوش الثمودية** : و تنتسب إلى قبائل ثمود الذي ورد ذكرها في القرآن الكريم . تعود إلى القرن الثالث أو الرابع بعد الميلاد . دونت بخط المسند من الأعلى إلى الأسفل .

– **النقوش الصفوية** : و تنتسب إلى منطقة الصفا ، و تنتشر عبر منطقة واسعة تمتد من الصفا إلى جبل الدروز . تعود إلى القرن الثلالثة بعد الميلاد . دونت بالمسند باتجاهات مختلفة . حل رموزها المستشرق الألماني وتمان .

يؤكد بلاشير أنه يستدل من أقوال بعض العلماء المسلمين في القرن السابع ميلادي أن مرار بن مرة الأنباري هو أول من اخترع الخط العربي .

يروي الأصمعي أن الكتابة قد انتقلت من منطقة الأنبار إلى الحيرة ، ثم انتقلت من الحيرة إلى منطقة الحجاز .

يروي الكلبي و الهيثم أن الخط العربي انتقل من الحيرة إلى مكة بواسطة حرب بن أمية . [1]

يقول ابن النديم في كتاب (الفهرست) :

(اختلف الناس في أول من وضع الخط العربي . فقال هشام الكلبي : أول من وضع ذلك قوم من العرب العاربة نزلوا في عدنان بن أد و أسماؤهم : أو جاد هوّاز ، حطي ، كلمون ، صعفص ، قريسات .

هذا من خط ابن الكوفي بهذا الشكل و الإعراب ، وضعوا الكتاب على سمائهم ، ثم وجدوا بعد ذلك حروفا ليست من أسمائهم و هي : الثاء ، و الخاء ، و الذال ، و الظاء ، و الشين ، و الغين ، فسموها الروادف .) . [2]

ينقل ابن النديم رواية أخرى ، يقول :

---

[1] – بلاشير رجيس : المرجع نفسه . الجزء الأول : ص : 71 .

[2] – ابن النديم : الفهرست : تحقيق : د . مصطفى الشويحي . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر . الدار التونسية للنشر . تونس . ط : 1985 . ص : 57 . 58 .

(و قال ابن عباس : أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان – و هي قبيلة من طيء نزلت مدينة الأنبار – سكنوا الأنبار ، و إنهم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة و موصولة ، و هم : مرامر بن مرة ، و أسلم بن سدرة ، و عامر بن جدرة – و يقال مروة و جدلة – فأما مرامر فوضع الصور و أما أسلم ففصل و وصل و أما عامر فوضع الإعجام . و سئل أهل الحيرة : ممن أخذتم { الكتاب} العربي ؟ فقالوا : من أهل الأنبار .) . [1]

الواقع أن ما ينقله ابن النديم ، و إن عازه الدليل و خالطه الظن ، يؤكد أن الخط العربي يعود إلى فترة قديمة .

إن مجموع الروايات و الآثار المكتشفة لا تدل إلا بصورة إجمالية على الناحية المعمارية . أما الناحية الحية للكتابة اليومية فلا نعثر على شاهد واحد في الجاهلية ، إنما نعثر على نماذج منها ، و هي من وثائق البردي المصرية تعود إلى النصف الثاني من القرن السابع ميلادي .

و ليست هذه الوثائق فريدة في نوعها ، فقد درس المستشرق سلفستر ذي ساسي عام **1827** بعض أوراق البردي و وضع لها تاريخا من **40ه /660م** ، و هي تدل على وجود الكتابة منذ الفتح الإسلامي ذات أشكال مستديرة ، تختلف جدا

---

[1] – المصدر نفسه : 59 ، 60 .

عن الكتابة الكوفية ، بل هي تنتمي إلى الكتابة المدورة المسماة (بالنسخي).[1]

إن الكشوف تؤكد أن العرب قد عرفوا الكتابة منذ وقت مبكر ، و إنهم استخدموها في معاملاتهم المختلفة منذ عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على أقل تقدير .

تطور الخط بعد ذلك فصنع أو الأسود الذؤلي الحركات ، ثم جاء الخليل بن أحمد في مطلع القرن الثاني للهجرة فوضع النقط .[2]

ب – وسائل التدوين :

إن التدوين يحتاج إلى وسائل أساسية : وسيلة الكتابة ، و ما يكتب عليه ، و معرفتنا بهذه الوسائل يساعدنا على تصور حجم ما دونه العرب قديما .

المواد التي دون عليها العرب قديما ، فإن الأخبار المتوفرة عن الصحابة – رضوان الله عليهم – الذين دونوا القرآن الكريم أيام الرسول – صلى الله عليه و سلم – تشير إلى رقاع الجلد على مختلف أنواع الجلود ، و سعف النخيل ، و اللحاف (و هي حجارة بيضاء رقيقة) ، و عظام الكتف العريضة ، و الورق ، و القماش .

---

[1] – بلاشير رجيس : المرجع نفسه . الجزء الأول . ص :77 ، 78 .

[2] – د . عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي . دار النهضة العربية . ط : 1975 . ص : 38 .

إذا تأملنا المواد المذكورة تبين لنا أن بعضها يصنع مثل الجلد و الورق و القماش . هذه المواد حصل العرب عليها من مصدرين :

خارجي

داخلي :

1- المواد الوافدة من مصدر خارجي :

- من المؤكد أن الورق قد وفد إلى الجزيرة العربية من الصين عن طريق التجارة مع الشرق الأقصى . لكن الشواهد التي تثبت هذا الأمر قليلة .

- ذكر شعراء الجاهلية كلمة المهارق ، مفردها مُهْرَق ، و هي قماش من الحرير كان يطلى بالصمغ ثم يصقل بالخرز ، ثم يستخدم في الكتابة . و كلمة مهرق فارسية الأصل عربت من مهر كرد أي صقل . قال الحارث بن حليزة :

- لمن الديار عَفَوْنَ بالحُبْـــــــس آياتها كمهارق الفـــــــرس .

- كلمتا القرطاس و القراطيس و التي وردت في القرآن الكريم ، إذ قال تعالى في سورة الأنعام ، الآية 7 : (و لو نزلنا عليك كتابا في قرطاس .) . كما أن طرفة بن العبد قد ذكر اللفظ في وصفه لناقته :

- و خدّ كقرطاس الشآمي و مشفر كسيْت اليماني قده لم يجرد .

كلمة القرطاس كلمة أجنبية معربة . أصلها مثلما يرى المحدثين يونانـــــــــية

Chartes ، و معناها ما يكتب فيه ، و يقابلها في العربية ورقة و صحيفة و القراطيس في كثير من المراجع العربية كانت تطلق على ورق البردي. و هو الورق الذي كان يصنع في جنوب مصر، و يصدر إلى روما و سائر الأقطار . [1]

المواد المصنعة من مصدر داخلي :

– من مواد الكتابة المصنوعة محليا الأديم ، و هو نوع من الجلد الأحمر.

– الأدم و هو جلد استعمله اليهود . و استعمله النبي – صلى الله عليه و سلم – عندما كتب إلى كسرى .

– الرق و هو نوع رقيق من الجلد ، كتب عليه الصحابة القرآن الكريم و جمعوه في مصحف .

– هذه الوسائل ، بالإضافة إلى السعف و العظام و الحجارة ، ظلت مستعملة حتى القرن الثاني ، و أن الورق لم ينتشر إلا حوالي 134 و قد أصبح معروفا على نطاق واسع في عهد الخليفة هارون الرشيد : (170 –193ه) حيث أمر الرشيد (ألا يكتب الناس إلا في الكاغد ، لأن الجلود و نحوها تقبل المحو و الإعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق .)[2].

---

[1] – المرجع السابق : ص : 40 ، 41 ، 42

[2] – المرجع السابق : ص : 43 ، 44، 45 ، 46 .

المدونات من الجاهلية إلى العصر الأموي :

تذكر بعض الأخبار و الروايات أن العرب في الجاهلية عرفوا بعض المدونات ، و منها :

1- صحف الحكيم لقمان . يروي ابن هشام - صاحب السيرة النبوية - أن السويد بن الصامت كان يحمل صحيفة فيها حكمة لقمان ، و أنه ذهب بها إلى الرسول - صلى الله عليه و سلم - فقرأها عليه ، فقال له الرسول : إن هذا كلام حسن ، و الذي معي أفضل من هذا - قرآن أنزله الله تعالى .) . [1]

2- يروي ابن النديم في الفهرست بأنّه : (و كان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هشام ، في جلد أدَم فيه : ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة ، على فلان بن فلان الحميري ، من أهل وزل صنعاء ، عليه ألف درهم فضة كيلا بالحديدة .) [2]

3- يروي العسكري : (أن عمران بن حصين قال : سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : الحياء لا يأتي إلا بخير . فقال بشير بن كعب - و كان قد قرأ الكتب - إن في الحكمة منه ضعفا . فغضب عمران بن الحصين و قال : أحدثك بما

---

1 - المرجع السابق : ص : 34 .

2 - ابن النديم : الفهرست : ص : 63

سمعت من النبي صلى الله عليه و سلم و تحدثني عن صحفك هذه الخبيثة .)

4- تؤكد الدلائل أن الصحف و الكتب المذكورة كانت منتشرة بين العرب في الجاهلية و أيام الدعوة الإسلامية ، فقد بلغ الخليفة بن الخطاب رضي الله عنه خبر الكتب فكرهها وقال : (أيها الناس ، إنه قد بلغني أنه ظهرت في أيديكم كتب ، فأحبها إلى الله أعدلها و أقومها ، فلا يبقين أحد عنده كتابا إلا أتاني به فأرى فيه رأيي) .

5- تشير الدلائل أن أديرة الرهبان بمنطقة الحيرة كانت ، و منذ الجاهلية مليئة بالمدونات و الكتب . ذكر الطبري أن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : (كنت استخرج أخبار العرب و أنساب آل نصر بن ربيعة و مبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى .) . [1]

الراجح أن العرب في الجاهلية قد عرفوا التدوين ، غير أنه كان محدودا لا يتعدى بعض الحواضر . تشير بعض المصادر التاريخية أن مكة كان بها في بداية الدعوة الإسلامية سبعة عشرة كاتبا ، و كان بالمدينة نحو إحدى عشرة كاتبا .

اتسع التدوين بعد ذلك اثر جمع القرآن في مصحف عثمان – رضي الله عنه . لذلك ارتبط التدوين بالقرآن الكريم ، و كان قوام هذا الارتباط تفسير آيات القرآن الكريم و جمع الأحاديث

---

[1] – د . عز الدين إسماعيل : المرجع نفسه : ص 35 .

و استنباط الأحكام منها . و عرف من القائمين على ذلك عبد الله بن عباس و مالك بن أنس – رضي الله عنهما – و كلاهما من الصحابة . إلا أن الأول كان يمتاز بالإحاطة بكثير من الأنساب و أيام العرب و يروي الشعر و يعرض للمغازي ، و تهيأت له الفرصة ليكون فقيه البصرة و عالمها .[1]

أول ما عني العرب بتدوينه من معارفهم العربية الخالصة أخبار آبائهم في الجاهلية و أنسابهم و أشعارهم ، و من ثم كثر بينهم علماء النسب و أصحاب الأخبار ، و من أشهرهم دغفل بن حنظلة السدوسي المتوفى 70ه و الذي صنف بأمر معاوية بن أبي سيفيان كتاب : (التضافر و التناصر) .

وقد اعتنت القبائل العربية ، أيضا ، بتدوين أشعارها و أخبارها ، و قد تكاثر هذا التدوين في الكوفة .

تشير الأخبار إلى أن الشعر الإسلامي كان يكتب في حينه . يروي الجاحظ ، في هذا الصدد ، رواية عن ذي الرمة ، إذ قال لعيسى بن عمر: (أكتب شعري فالكتاب أحب إلي من الحفظ ، لأن الأعرابي ينسى الكلمة ، و قد سهر في طلبها لليلته ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ، ثم ينشدها الناس ، و الكتاب لا ينسى و لا يبدل كلاما بكلام .) .[2]

---

[1] – د . زكي أحمد كمال : الحياة الأدبية في البصرة . دار المعارف . مصر . ط :1971 . ص : 146

[2] – د شوقي ضيف : العصر الإسلامي . دار المعارف . مصر . ط :8 . 1978 . ص : 451 ، 452

و الجدير بالذكر أن الرواة الأوائل من أمثال عمرو بن العلاء و حماد الراوية لم يدونوا ما أملوه على طلابهم . و يبدو أن اعتمادهم على الرواية كان لحماية الشعر من اللحن . لذلك كان العرب في أوائل القرن الثاني الهجري ينبذون من يلحن في الشعر ، و ينعتونه بالصحفي – و يقصدون بذلك أنه أخذ الشعر عن الصحف أو الكتب .

غير أن الفضل في تدوين الشعر يرجع الرواة للجيل التالي للرواة المتقدمين ، فهم الذين الشعر تدوينا قائما على التوثيق و التجريح ، و على رأس هؤلاء : الأصمعي . و كان هؤلاء الرواة لا يكتفون بالسماع من الرواة السابقين فحسب ، و إنما كانوا يرحلون إلى الصحراء ليوثقوا ما يرونه عن شيوخهم .[1]

تجمع الروايات أن محاولات القرن الأول الهجري في جملتها و بعض ما حدث في مستهل القرن الثاني ، كان مجرد تدوين لنقول مختلفة ، و يقول الذهبي إنه كثر منذ عام **143**ه ، تدوين العلم و تبويبه ، و دونت كتب العربية و اللغة و التاريخ و أيام الناس . و ما كاد ينتصف القرن الثاني حتى ظهرت حركة ترجمة ، فتضاعف التأليف و تزايد الإقبال على المصنفات و الكتب .[2]

[1] – د شوقي ضيف : العصر الجاهلي : ص : 160 .

[2] –– د . زكي أحمد كمال : الحياة الأدبية في البصرة . ص146 – 149

المنتخبات الشعرية

بعد عملية الجمع الواسعة التي قام بها الرعيل الأول من الرواة من أمثال عمرو بن العلاء ، و حماد راوية للشعر الجاهلي و الإسلامي ، اتجه الجيل الثاني قي عملية التدوين و التصنيف إلى ثلاثة اتجاهات متزامنة و متكاملة :

تصنيف دواوين الشعراء من الجاهليين و الإسلاميين .

تصنيف دواوين القبائل .

اختيار أروع ما تضمنه الشعر الجاهلي و الإسلامي من قصائد ، و تصنف ذلك في منتخبات أو مختارات .

و المنتخبات أو المختارات هي مصنفات شعرية تختلف ، من حيث المنـــــــــهج و الغاية عن الدواوين ، إذ لا تعتني بجمع شعر شاعر واحد أو شعر قبيلة ، إنما هي مجموعة أشعار يصدر جامعها من مبدأ أساسي و هو أن تكون قصائدها طرازا عاليا من الشعر ، أو مصورة للمثل الأعلى الشعري في غرضها [1] . لذلك تقسم المنتخبات من حيث منهجها و أسلوب تصنيفها إلى قسمين رئيسين :

قسم يعتمد على مقياس الجودة للاختيار دون التقيد بأي تصنيف موضوعي .

قسم يلتزم منهج الغرض أو الموضوع في التصنيف . [2]

و الجدير بالذكر أن الغاية من المنتخبات لم تكن جمع الشعر و ضبطه ، بل كانت في الغالب تنتخب من مجموع المادة الشعرية المدونة ، و كانت هذه المادة المدونة منذ البداية هي أشعار الجاهليين و الإسلاميين . لذلك فإن من الطبيعي أن تتناول المختارات الأولى الشعر الجاهلي و الشعر الإسلامي . [3]

و يبدو أن لهذه المجموعات فائدة تختلف عن فائدة الدواوين ، لأن الديوان ضيق الأفق ، و يختص بموضوع محدد ، إذ يفيد في دراسة شاعر بذاته . أما المختارات فهي أوسع أفقا ، تتنوع موضوعاتها و تتعدد شعراؤها ، فتصويرها للحياة الفنية أكمل ، كما أنها تدل على ذوق العصر الذي تصنف فيه ، و على ذوق مؤلفها . و هن أشهر المصنفات :

---

[1] – د . عز الدين إسماعيل : المرجع نفسه : ص : 65

[2] – المرجع نفسه : ص : 68 .

[3] – المرجع نفسه : ص : 65

المعلقات :

و هي مجموعة القصائد الكاملة جمعها حماد الراوية و سماها : السموط ، أو المعلقات [1] . و العنوان الأخير لا يدل البتة أنها علقت بالكعبة الشريفة كما زعم بعض المتأخرين ، و إنما سميت بذلك لنفاستها أخذا من كلمة العلق بمعنى النفيس . [2]

و لا تتفق الروايات على عدد قصائد المعلقات . فالقصائد المتفق عليها خمس ، هي معلقات : امرئ القيس ، و طرفة ، و زهير ، و لبيد ، و عمرو بن كلثوم . و المعلقتان السادسة و السابعة هما قصيدة عنترة و الحارث بن حليزة في أكثر الروايات ، لكن المفضل وضع مكانهما قصيدتي النابغة و الأعشى . [3]

المفضليات :

المفضليات هي المجموعة الثانية في المنتخبات . وقد سميت بذلك الاسم نسبة إلى جامعها المفضل الضبي .

و هو أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر بن سالم ابن أبي الرنال من بني ثعلبة بن السيد بن ضبة ، و يقال أبن أبي الضبي . [4] و تاريخ ميلاده غير معروف ، و من المرجح أن يكون أوائل العقد الأول من القرن الثاني الهجري ، أما تاريخ وفاته فهو محل خلاف ، يذهب البعض أن وفاته كانت عام 167 ه ، بينما يذهب البعض الآخر أنها كانت عام 178 ه .

كان المفضل بن محمد الضبي من أوائل الرواة في الكوفة ، و هو ثاني اثنين أخذ رجال البصرة عنهما ، أولهما حماد الرواية ، و ثانيهما المفضل . قال عنه الجمحي أنه أعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة ، كما روى عنه أبو زيد سعيد ابن أوس الأنصاري البصري و ذكر ذلك في أول كتابه نوادر اللغة. [5] يقول في مستهل الكتاب المذكور : (هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت مما سمعه من المفضل بن محمد الضبي ، و من العرب .) [6] .

---

[1] – بروكلمان كارل : تاريخ الأدب العربي . الجزء الأول : ص :68

[2] – د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي : ص : 176 .

[3] – بروكلمان كارل : تاريخ الأدب العربي . الجزء الأول : ص :68

[4] – ابن النديم : الفهرست : ص : 312 .

[5] – د . الشلقائي عبد الحميد : المرجع السابق : ص : 171

[6] – الأنصاري أبي زيد : النوادر في اللغة . تحقيق : د . محمد عبد القادر أحمد . دار الشروق . بيروت .ط : 1981 . ص : 141 .

يعدّ المفضل راوية عالما بأخبار العرب و أيامها و لغاتها . و قد أخذ عنه كثيرون ، و في مقدمتهم ، و إلى جانب الأنصاري ، الفراء ، و الكسائي ، و ابن الأعرابي ، و إليه ينتهي إسناد كثير من الروايات الشعرية لدواوين الشعراء و دواوين القبائل على السواء .[1]

يذكر ابن النديم في الفهرست أن للمفضل كتبا أخرى ، بالإضافة إلى كتاب الاختيارات أي المفضليات ، و هي : كتاب الأمثال ، و كتاب العروض ، و كتاب معاني الشعر ، و كتاب الألفاظ .[2]

اختيار المجموعة الشعرية :

لاختيار أشعار المفضليات قصة :

خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب في البصرة عن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، و انضم عدد من العلماء إلى شيعة العلويين ، و منهم المفضل الضبي . لكن الخليفة المنصور بعد هزيمة إبراهيم سنة 143ه /760م[3] ، ظل يطارده ، فتخفى إبراهيم عند المفضل ، و كان المفضل يتركه و يخرج . و ذات مرة أراد المفضل أن يخرج لأيام إلى ضيعة له ، فطلب منه إبراهيم كتابا يتسلى به ، فأخرج له كتبا في الشعر و الأخبار يقال أنها كانت ملء قمطرين . فلما عاد المفضل وجد ضيفه قد علم سبعين قصيدة ، و كان صاحب ذوق حسن في الشعر . و يبدو أن المفضل استبقى على هذه القصائد السبعين ثم أضاف لها عشرا فيما بعد . فلما ظفر الخليفة المنصور بإبراهيم عفا عن المفضل ، و جعله مؤدبا لابنه محمد الهادي الخليفة اللاحق و قد قدم المفضل لتلميذه القصائد الثمانين فقرأها عليه ، ثم قرئت هذه القصائد على المفضل و نسبت إليه ، ثم قرئت على الأصمعي ، فأقرها و زادها قصائد ، و زاد في بعض قصائدها أبياتا ، ثم جاء من بعد الأصمعي رواة و زادوا في القصائد أبياتا دخلت في روايتي المفضل و الأصمعي ، حتى اختلطت ، و لم يعد ميسورا تميزها عن الأصل .[4]

محتوى الكتاب :

المفضليات مائة وست وعشرون 126 قصيدة ، أضيف لها أربع قصائد وجدت في بعض النسخ ، و في مقدمة شرح الأنباري لها سند كامل يرفعه الأنباري إلى ابن الأعرابي تلميذ المفضل و ربيبه[5] .

يقول ابن النديم في الفهرست : المفضليات : (هي مائة و ثمانية و عشرون قصيدة ، و قد تزيد و تنقص ، و تتقدم القصائد و تتأخر بحسب الرواية عنه ، و الصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي ، و قال و أول النسخة لتأبط شرا : { البسيط }

---

[1] – د . عز الدين إسماعيل : المرجع نفسه : ص : 76

[2] – ابن النديم : الفهرست : ص : 313 .

[3] – بروكلمان كارل : تاريخ الأدب العربي . الجزء الأول : ص : 72، 73 .

[4] – عز الدين إسماعيل : المرجع نفسه : ص : 72 .

[5] – د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي : ص : 176، 177

يا عبيدُ ما لك من شوق و إيراق و مرّ طيف على الأهوال طرّاق)[1]

إشارة ابن النديم للرواية الصحيحة يعني ذلك أن في أيدينا أوثق نسخة للمفضليات . و اعتمد عبد السلام هارون و أحمد شاكر في النسخة التي نشراها في دار المعارف بمصر عام 1942 على رواية عن الأخفش ، نقلها أبو علي القالي في كتاب ذيل الآمالي ، يقول : (قال أبو على و قرأت على أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش المفضليات ... و ذكر أن المفضل أخرج منها ثمانين للمهدي ، و قرئت بعد على الأصمعي فصارت مائة و عشرين ، قال أبو الحسن : أخبرنا أبو العباس ثعلب أن أبا العالية الأنطاكي و السدري و عافية بن شيب – و هؤلاء كلهم بصريون من أصحاب الأصمعي – أخبروه أنهم قرءوا عليه المفضليات ثم استقرءوا الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعره ، و ضموه إلى المفضليات و سألوه عما فيه مما أشكل عليهم من معاني الشعر و غريبه .)[2]

و الظاهر من رواية الأخفش أن قصائد المفضليات كانت ثمانين قصيدة ألقاها المفضل على المهدي ، و زاد فيها الأصمعي أربعين ، ثم زاد بعض تلاميذ الأصمعي البقية .[3]

إن المفضليات مؤلفة من مجموعة قصائد و مقطوعات ، و يمكن حصر أصحاب القصائد و جلهم من قبائل بدوية في أواسط شبه الجزيرة العربية و شرقها محدودة زمنيا ، على وجه الإجمال ، بين 550 م و 650 .[4]

تتوزع قصائد المفضليات على سبعة و ستين (67) شاعرا ، منهم : سبعة و أربعين (47) شاعرا جاهليا و على رأسهم المرقشان الأكبر و الأصغر و الحارث بن حلزة و علقمة بن عبيدة و الشنفرى و بشر بن أبي حازم و تأبط شرا و عوف بن عطية و أبو قيس بن الأسلت الأنصاري و المسيب ، و بينهم امرأة من بني حنيفة و مجهول من اليهود و مسيحيان هما عبد المسيح بن عسلة الشيباني و جابر بن حنى التغلبي .[5]

و من بينهم الشعراء المفضليات أربعة عشر (14) شاعرا من المخضرمين الذين ولدوا في الجاهلية و أدركوا الإسلام ، ثم ستة (6) شعراء فقط من الإسلاميين .[6]

تتوزع مجموعة المفضليات ، بحسب التكرار ، على (26) شاعرا وردت لكل منهم قصيدة واحدة ، و على (28) شاعرا وردت لكل منهم قصيدتان ، و (9) شعراء وردت لكل منهم ثلاث قصائد ، و

---

[1] – – بن النديم : الفهرست : ص : 312 .

[2] – القالي أبو علي : ذيل الآمالي و النوادر : دار الآفاق الجديدة . بيروت . ط :1980ز ص : 130

[3] – د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي : ص :177 .

[4] – بلاشير رجيس : تاريخ الأدب العربي . الجزء الأول : ص : 164

[5] – د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي : ص :177 .

[6] –– بروكلمان كارل : تاريخ الأدب العربي . الجزء الأول . ص : 73 .

شاعر واحد له أربع قصائد ، و هو ربيعة بن مقروم الضبي ، و شاعر واحد وردت له خمس قصائد ، و هو المرقش الأصغر ، و شاعر واحد وردت له اثنا عشرة قصيدة ، هو المرقش الأكبر .[1]

تتوزع المفضلبات ، بحسب عدد الأبيات ، على (40) مقطوعة لا يزيد عدد أبيات كل منها عن عشرة ، و على (43) قصيدة يتراوح عدد أبياتها ما بين 11 و 20 بيتا ، و (21) قصيدة تتراوح ما بين 21 و 30 بيتا ، و (10) قصيدة تتراوح ما بين 31 و 40 بيتا ، و سبع قصائد تتراوح ما بين 41 و 50 بيتا ، و ثماني قصائد مطولات تتراوح ما بين 51 و 108 بيتا . و أطول قصيدة هي قصيدة سُويد بن أبي كاهل ، و عدتها 108 بيتا ، و مطلعها :

بسطتْ رابعةُ الحبل لنا فوصلْنا الحبل منها ما اتسع

و أقصر مقطوعة تقع في بيتين ، و هي للمرقش الأكبر ، و يقول فيها :

أبأت بثعلبةَ بن الُحشَا م عمرو بن عوف فزال الوهلْ

دمًا بدم ،و تعفَّى الكلومُ و لا ينـــــفع الأولين المنهلْ[2]

و يبدو أن المفضل الضبي لم يلتزم بأي ترتيب خاص للقصائد المختارة ، و لا نملك أي دليل على أن المفضليات وصلت إلينا على الهيأة التي أختارها المفضل ، و المؤكد أن الرواة من بعده تناولوها بالزيادة حتى بات من الصعب تميز القصائد الثمانين التي وضعها المفضل .[3]

قيمة المفضليات المصدرية :

تمثل أشعار المفضليات أصالة الشعر العربي ، إذ تتجلى فيها كثير من صور الحياة العربية في الجاهلية . مثلت جوانب الحياة المختلفة و دارت مع الأيام و الأحداث و علاقات القبائل مع بعضها البعض و بملوك الحيرة و الغساسنة ، و انطبعت في كثير منها البيئة الجغرافية . و قد جاء فيها غير قليل من الكلمات المندثرة التي لم ترد في المعاجم اللغوية على كثرة ما أثبتت من الألفاظ المهجورة ، مما يرفع الثقة بها و يؤكدها .[4]

تجسد المفضليات ، كذلك ، المثل الشعري الأعلى في التصوير الفني و للذوق الجمالي العام للعرب آنذاك . فهي أول كتاب يضم مختارات من عيون الشعر القديم (جاهلي و مخضرم و إسلامي) بروايات موثوق بها .

للمفضليات خصائص ، جعلتها موضع اهتمام نجملها فيما يلي :

صاحب هذا المؤلف كان محل احترام الآخرين ، فقد كان راو فوق مستوى الشبهات ، بخلاف حماد الراوية و خلف الأحمر ، فلم يطعن أحد من معاصريه أو ممن جاءوا بعده في أمانته العلمية ، بل كان أول من نبه إلى محاولات بعض الرواة المغشوشة ، فقد ذكر ياقوت الحموي في معجم الأدباء

---

[1] – د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي : ص 177

[2] –– عز الدين إسماعيل : المرجع نفسه : ص : 73 .

[3] – المرجع السابق : ص : 74 .

[4] –– د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي : ص : 178 .

عن ابن الأعرابي أنه سمع المفضل يقول : (قد سُلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا ، فقيل له كيف ذلك ؟ أيخطي في روايته أو يلحن؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، و لكنه رجل عالم بلغات العرب و أشعارها و مذاهب الشعراء و معانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب الرجل و يدخله في شعره و يحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ، و لا يميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد و أين ذلك ؟)
كانت المفضليات محل اهتمام الرواة و العلماء و الأدباء . و من مظاهر هذا الاهتمام ظهور شروح عديدة لها و منها :

شرح ابن الأنباري .

شرح المرزوقي المتوفي (421ه/1030م) .

شرح التلريزي المتوفي (502ه/1108م) .[1]

1. تمثل هذه المجموعة ذوق المفضل الضبي الفني ، إلا أنها قصائد دون شرح أو تدخل في توجيه هذه القصائد ، و كان يمكن أن تكون على أكمل وجه لو أتبع المفضل كل قصيدة برأي أو بحكم يبين سبب الاختيار .

لا تهتم المفضليات إلا بما كان قديما (130 قصيدة تتوزع على 66 شاعرا من شعراء الجاهلية و العصر الإسلامي) . و هذا يدل على أن المفضل كان من أنصار الشعر القديم قدم لنا مادة موثقة .

طبعات الكتاب :

المفضليات ست طبعات :

طبعت في لايزيغ 1885 و هي طبعة قدمها المستشرق توريكه .

طبعت طبعة تجارية بمصر سنة 1906 م

طبعة مصرية في جزئيين مع تعليق لأبي بكر بن عمر دغستاني المدني .

طبعة المستشرق ليال .

طبعة كاملة في مصر عام 1945 م .

طبعة دار المعارف بمصر عام1942 م مع تعليق لأحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون .[2]

جمهرة أشعار العرب للقرشي

– التعريف بالمؤلف :

---

[1] – – بروكلمان كارل : تاريخ الأدب العربي . الجزء الأول . ص : 74

[2] – – عز الدين إسماعيل : المرجع نفسه : ص : 76 .

ينسب كتاب (جمهرة أشعار العرب) إلى أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي . و هو شخصية مجهولة [1] ، لم يترجم لها أحد من كتاب التراجم القدماء ،، و أن أول من أشار لها هو ابن رشيق المتوفي (463هـ) في كتابه (العمدة) . كما ذكرها السيوطي في كتابه (المزهر) ، و أشار إليها البعدادي في (الخزانة) . [2]

اختلف الدارسون المحدثون في الفترة الزمانية التي عاش فيها القرشي :

يذكر كل من سليمان البستاني في مقدمة كتاب (الإلياذة) ، و بطرس بستاني في كتابه (الأدباء العرب في الأعصر العباسية) ، و أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام) أن القرشي عاش في القرن الثاني للهجرة ، و أنه عاصر أو أدرك المفضل الضبي ، و احتجوا بما ورد في مقدمة الجمهرة من روايات مسندة إلى المفضل الضبي . [3] يذهب الدكتور عمر الدقاق في كتابه (مصادر التراث العربي) أن القرشي عاش في القرن الثالث ، و يعلل رأيه بأن النزعة الظاهرة للتنظيم و التبويب في كتاب جمهرة العرب لم يعرفها العرب في القرن الثاني للهجرة ، و إنما في القرن الثالث . أوضح الدقاق أن الروايات الواردة في الجمهرة و المسندة بطريقة مباشرة إلى المفضل الضبي قد تكون ناتجة عن تصحيف وقع فيه النساخ ، فبدل أن يكتبوا اسم المفضل المجيري ، كتبوا اسم المفضل الضبي . [4]

يرى الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية) ، و بعد سلسلة من التحقيقات ، أن القرشي عاش في القرن الرابع الهجري .

و من الممكن ، بحسب الدكتور عز الدين ، حسم الخلاف في الفترة التي عاش فيها القرشي من خلال التعرف على سلاسل الرواة الذين أخذ عنهم القرشي . غير أن هذا الأمر صعب ، لأن الكاتب في كثير من مواضع الكتاب يسقط الأسانيد ، و ينقل مباشرة عن الراوي الأول . نجده مثلا ينقل الرواية على النحو التالي ، فيقول : (قال أبو عبيدة) أو (قال المفضل) أو (ذكر عن أبي عبيدة) أو (ذكر عن أبي دأب) .

لكن ، و بالمقابل ، نعثر قي الجمهرة على روايات كاملة السند ، منها :

(حدثنا سيد عن حزام بن أرطأة عن أبي عبيدة .) .

(حدثنا سيد بن محمد الأزدي عن ابن الأعرابي .) .

(عن المقنع عن أبيه عن الأصمعي .) .

---

[1] – د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي . بيروت . دار الشروق . ص : 49–50 .

[2] – د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي . ص : 178

[3] – د . عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث الأدبي . ص : 80

[4] – د الدقاق عمر : المرجع نفسه : ص : 50 .

تحليل أسانيد الروايات الثلاثة يمكننا من الاستنتاج أن بين القرشي و أبي عبيدة المتوفي (209 ه) راويين . و بين القرشي و الأصمعي المتوفي (219ه) . و بينه و بين ابن الأعرابي المتوفي (231ه) راو واحد .

و مما نتقدم فأنه من المحتمل جدا أن يكون القرشي قد عاش قي المنتصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، و شهد طرفا من القرن الرابع للهجرة .[1] و يذهب شوقي ضيف في كتابه (العصر الجاهلي) ، و بالحثيات ذاتها ، إلى الرأي نفسه .[2]

و مما يزيد هذا الاحتمال رجحانا أن تسمية الجمهرة شاعت خلال القرن الثالث هجري ، و ما بعده ، إذ نجد جمهرة اللغة لابن دريد ، و جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، و جمهرة الأنساب لابن حزم ، و جمهرة أنساب العرب لأبي الفرج الأصفهاني .[3]

كتاب جمهرة أشعار العرب :

يتميز كتاب جمهرة أشعار العرب عما تقدمه من مصنفات بأمرين ، و هما

مقدمة الكتاب النقدية .

التبويب الدقيق .[4]

مقدمة الكتاب :

و يمكن تصنيف محتوى المقدمة إلى ثلاثة أقسام أساسية ، و هي :

أ – تقديم الكتاب : يقول القرشي : هذا كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الإسلام ، الذين نزل القرآن بألسنتهم ، و اشتقت العربية من ألفاظهم ، و اتخذت الشواهد في معاني القرآن ، و غريب الحديث من أشعارهم ، و أسندت الحكمة و الآداب إليهم ، تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي . و ذلك أنه لم يوجد أحد من الشعراء بعدهم إلا مضطرا إلى الاختلاس من محاسن ألفاظهم ، و هم إذ ذاك مكتفون عن سواهم بمعرفتهم ، و بعد فهم فحول الشعراء الذين خاضوا بحره ، و بعُد فيه شأوهم ، و اتخذوا له ديوانا كثرت فيه الفوائد عنهم ، و أولا أن الكلام المشترك لكانوا قد حازوه دون غيرهم ، فأخذنا من أشعارهم ، إذ كانوا هم الأصل ، غررا من العيون من أشعارهم ، و زمام ديوانهم .) .[5]

---

[1] – د . عز الدين اسماعيل : ص : 81 .

[2] – د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي . ص : 178

[3] – د الدقاق عمر : المرجع نفسه . ص : 50 .

[4] – المرجع نفسه . ص : 51 .

[5] – القرشي ، أبي زيد : جمهرة أشعار العرب . بيروت . دار الصادر . طبعة (1963) ص : 9

يقارن القرشي ، بعد الاستهلال ، بين لغة الشعر و لغة القرآن الكريم ، و يبين بأن القرآن الكريم لم يأت بلغة جديدة ، و أن كل ما فيه من مجاز غريب ، قد استعملته العرب . يقول :

(و نحن ذاكرون في كتابنا هذا ما جاءت به الأخبار ، و الأشعار المحفوظة عنهم ، و ما وافق القرآن من ألفاظهم ...) [1]

ب – يذكر القرشي في مقدمة الجمهرة رأي النبي صلى الله عليه و سلم في الشعر . يقول : (... و ما روي عن الرسول صلى الله عليه و سلم ، في الشعر و الشعراء ، و ما جاء عن أصحابه و التابعين من بعدهم ، و ما وصف به كل واحد منهم ...) [2]

ج – يتحدث القرشي عن أول من قال الشعر ، و نسب أبياتا إلى سيدنا آدم ، و إلى إبليس ، و بعض الجن . يقول : (و أول من قال الشعر ، و ما حفظ عن الجن ، و ما توفيقي إلا بالله ..) . [3]

أقسام الكتاب :

قيّد القرشى اختياره باختيار قصيدة واحدة لكل شاعر من الطبقات السبع ، فبلغ مجموع القصائد تسعا و أربعين قصيدة لتسعة و أربعين شاعرا .

قسم القرشي محتويات مختاراته إلى سبعة طبقات متدرجة زمانيا ، و قد وضع في كل طبقة سبعة قصائد :

الطبقة الأولى : أصحاب المعلقات ، و هم امرؤ القيس ، و زهير ، و النابعة الذبياني ، و الأعشى ، و لبيد ، و عمرو بن كلثوم ، و طرفة بن العبد .

الطبقة الثانية : أصحاب المجمهرات • ، و هم عنترة بن شداد ، و عبيد بن الأبرص ، و عدي بن زيد ، و بشر بن أبي حازم ، و أمية بن أبي الصلت ، و خداش بن زهير ، و النمر بن تولب .

الطبقة الثالثة : أصحاب المثقبات ، و هم المسيب بن علس ، و المرقش الأصغر ، و الملتمس ، و عروة بن الورد ، و المهلهل بن ربيعة ، و دريد بن الصمة ، و المنتخل بن عومير الهذلي .

---

[1] – المصدر نفسه : ص : 9 .

[2] – المصدر نفسه : ص : 9 – 10 .

[3] – المصدر نفسه : ص : 10 .

• المجمهرات هي القصائد المحكمة السبك . يقال للناقة المجمهرة إذا كانت متداخلة الخلق كأنها كثلة من الرمال . أنظر عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية . الهامش رقم (1) : ص : 82

الطبقة الرابعة : أصحاب المذهبات ،و هم : حسان بن ثابت ، و عبد الله بن رواحة ، و مالك بن العجلان ، و قيس بن الحطيم ، و أحيحة بن الجلاح ، و أو قيس الأسلت ، و عمرو بن امرئ القيس .

الطبقة الخامسة : أصحاب المراثي ، و هم : أو ذؤيب الهذلي ، و محمد بن كعب الغنوي ، و أعشى باهلة ، و علقمة بن جدن الحميري ، و أبو زيد الطائي ، و متمم بن نويرة اليربوعي ، الشماخ بن ضرار ، و عمرو بن أحفر ، و تميم بن مقبل العامري .

الطبقة السادسة: أصحاب المشوبات• ، و هم نابغة بن جعدة ، و كعب بن زهير بن أبي سلمى ، القطامي ، الحطيئة ، الشماخ بن ضرار ، و عمرو بن أحشر ، و تميم بن مقبل العامري .

الطبقة السابعة: أصحاب الملحمات • و هم : الفرزدق ، جرير ، الأخطل ، و عبيد الراعي ، و ذو الرمة ، و الكميت بن زيد الأسدي ، و الطرماح بن حكيم الطائي .[1]

و الملاحظ أن عناوين الطبقات هي ، من حيت دلالاتها ، صفات للقصائد . هذه الصفات هي عامة غير متمايزة باستثناء المراثي التي تمثل موضوعا متجانسا .

نلاحظ كذلك الميل الواضح للتقسيم السباعى . نرى في التقسيم أنه ينطلق من مبدأ نقدي ، و هو مبدأ الطبقة . نراه أيضا يعتمد على مبدأ الفحولة .

طبعات جمهرة أشعار العرب :

طبعت جمهرة أشعار العرب لأول مرة بمطبعة بولاق في مصر عام 1311ه ، ثم طبعت في مصر في طبعات تجارية .

طبعتها دار الصادر ببيروت عام 1963 م . و كانت آخر طبعاتها في عام 1968 م بتحقيق علي محمد الحاجري .[2]

• المشوبات هي القصائد التي شابها الكفر و الاسلام ، أي المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية و الاسلام . . أنظر عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية . الهامش رقم (1) : ص :83 .

• – الملحمات القصائد الملتحمة في نظمها . . أنظر عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية . الهامش رقم (2) : ص : 82 .

[1] – د . عز الدين اسماعيل : المرجع نفسه : ص : 82-83 .

[2] – د . عز الدين اسماعيل : المرجع نغسه . ص : 88 .

حماسة أبي تمام

التعريف بالمؤلف :

هو حبيب بن أوس الطائي ، منسوب إلى القبيلة العربية المشهورة طيء ، و كنيته أبو تمام و بها عرف . و منهم من يدفع نسبه إلى طيء ، و يزعم أن والده نصراني من أهل جاسم – أي قرية بإقليم جيدور القريب من مدية دمشق – يقال له تدوس العطار فلما أسلم غير اسمه فصار أوسا .

ولد أبو تمام في قرية جاسم على الأرجح عام 190ه ، و توفي عام 231 ه [*]

كان علما كبيرا من أعلام الشعر العربي ، امتاز بميله إلى التجديد في معاني الشعر و صوره ، و اشتهر بثقافته الغزيرة و حدة ذكائه . [1]

---

[*] – اختلف المؤرخون في تاريخ ولادة أبي تمام ، و اختلفوا كذلك في تاريخ وفاته . فقد جعل البعض مولده عام 172ه و جعله البعض الآخر عام 188ه ، و جعله آخرون عام 192ه ، غير أن أكثر المؤرخين رجحوا مولده عام 190 – أي أواخر خلافة الرشيد .

أما وفاته فقد جعلها بعضهم تتراوح ما بين 230ه و 250ه . و هذا الفارق كبير لا يجوز علميا الأخذ به . و من المرجح أن أبا تمام توفي عام 231ه أي أواخر خلافة الواثق ، و الدليل أنه يمدح خليفة من الخلفاء العباسيين بعد الواثق .أنظر : بطرس بستاني : أدباء العرب في الأعصر العباسية . الجزء : الثاني بيروت دار عبود . ط(1979) الهامش رقم (2) ص : 93 .

[1] – – د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي : ص : 57 .

آثاره :

1– الديوان : لأبي تمام ديوان شعر جمعه الصولي و رتبه على حروف المعجم ، ثم رتبه ، بعد ذلك ، علي بن حمزة الأصفهاني حسب الموضوعات .

2–المختارات : لم يقتصر أبو تمام على ديوانه شأنه شأن الشعراء العرب السابقين ، و إنما استهل في الأدب نهجا جديدا ، قلده فيه كثير من الشعراء الذين جاءوا من بعده ، فكان له ، و إلى جانب ديوانه ، سبعة مجموعات شعرية من شعر غيره من الشعراء ، و هي :

* **كتاب الاختيار من أشعار القبائل** : و اشتمل على العديد من أشعار شعراء القبائل المختلفة .

* **كتاب الاختيارات من شعر الشعراء** : و يشتمل على مختارات من شعر شعراء لا يعرف عنهم إلا أخبار نادرة و ضئيلة .

* **كتاب الفحول** : و يحتوى أفضل قصائد شعراء الجاهلية و صدر الإسلام ينتهي بالشاعر ذي الرمة .

* **اختيار المقطعات** : و قد انتهج فيه نهج الحماسة ، غير أنه استهله بالغزل .

* مختارات من شعر المحدثين .

* **نقائض جرير و الأخطل** : و ذكر فيه أبو تمام عشرين نقيضة للشاعرين ، و معها نقيضة للفرزدق ، و شعرا للسفاح الثغلبي ، و المرقش الأكبر ، و الزيان الشيباني ، و عمرو بن لأي التميمي .

* كتاب الحماسة .

و لم يصل إلينا من هذه المختارات السبعة التي صنفها أبو تمام ، سوى كتابي النقائض و الحماسة .[1]

كتاب الحماسة :

ارتبط تصنيف الحماسة ، شأنها في ذلك شأن المفضليات ، بقصة في تأليفها يذكر التبريزي – أحد شراح ديوان الحماسة – أن أبا تمام قصد عبد الله بن الطاهر ، و هو بخرسان فمدحه فأجازه ، و عاد يريد العراق ، فلما دخل همذان اغتنم أبو الوفاء بن سلم فأنزله و أكرمه ، و أصبح ذات يوم و قد وقع ثلج عظيم فقطع الطريق ، فغم ذلك أبا تمام و سر أبا الوفاء ، فأحضره خزانة كتبه فطالعها و اشتغل بها ، و صنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة ، و الوحشيات ، و فحول الشعراء ، و مختار شعراء القبائل ، فبقي كتاب الحماسة في خزائن آل سلم يضنون به ، حتى تغيرت أحوالهم و ورد أبو العواذل همذان من دينور فظفر بالكتاب و حمله إلى أصفهان ، فأقبل أدباؤها عليه و رفضوا ما عداه مما هو في معناه من كتب ، ثم شاع حتى ملأ الدنيا .[2]

---

[1] – الفاخوري حنا : تاريخ الأدب العربي . بيروت . المكتبة اليولسية . الطبعة العاشرة1980 . ص : 483-

[2] – الرافعي مصطفى صادق : تاريخ آداب العرب . الجزء الثالث . بيروت . دار الكتاب العربي . الطبعة الثانية (1974) ص : 347 .

طريقة الاختيار :

أبو تمام أول شاعر جنح للتأليف . لذلك فإن مختارات الحماسة تختلف بالتالي عن مختارات السابقة التي صنفها المفضل الضبي أو القرشي . لقد كان المفضل الضبي راوية عالم بأشعار العرب و أخبارهم ، و كان القرشي راوية ينقل عن كبار الرواة من أمثال أبي عبيدة أو الأصمعي أو ابن الأعرابي ، و كل هؤلاء هم من علماء اللغة ، يؤثر فيهم الفصيح الجزل . غير أن أبا تمام كان شاعرا من كبار الشعراء ، فمن الطبيعي أن يكون اختياره لقصائد الحماسة مختلفا عمن سبقوه من المؤلفين ، فقد جعل الجمال الفني معياره في الاختيار بالإضافة إلى ما كان يبتغيه في القول من فصاحة و جزالة . و هكذا أخذ ما شاء . و ترك ما ترك .[1]

يقول المرزوقي – أحد شراح الحماسة : (إنه لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، و لا من الشعر إلى المتردد في الأفواه ، المحبب لكل داع ، فكان أمره أقرب – بل اعتسف في دواوين الشعراء ، جاهليهم و مخضرمهم و إسلاميهم و مولدهم ، و اختطف منها الأرواح دون الأشباح ، و احترف الأثمار دون الأكمام ، و جمع ما يوافق نظمه و يخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه ، و طرق الإحسان و الاستحسان لم تستر عنه حتى انفك تراه ينتهي إلى البيت الجيد في لفظة تثنيه ، فيجير نقيصته من عنده ، و يبدل الكلمة بأختها في نقده .) .

الواضح من شهادة المرزوقي أن أبا تمام انطلق من ذوقه الشخصي ، فكان ينتقي الشعر من دون الأخذ بشهرة صاحبه ، أو الأخذ بمعيار عدد الأبيات . كان يهدف إلى أن يعرف الناس بنماذج من الشعر الجيد أو الرائع ، و الذي ظل مجهولا غير معروف . و لم يكتف بعرض المادة الشعرية المختارة ، فكان إذا صادف لفظا غير مستحسن في موضعه ، استبدله باللفظ الملائم . لذلك فأن ديوان الحماسة هو كتاب مقطوعات يعتني بالشعر بالدرجة الأولى ، بحيث نجد أن أطول قصائده لا تزيد عن اثنين و عشرين بيتا ، و أن أغلب القصائد يقع ما بين ستة و تسعة أبيات . نجد أن أبا تمام قد يذكر القصيدة الجيدة من دون تعين قائلها[2] .

و يبدو أن أبا تمام قد نجح في عمله ، فلم ينكر عليه أحد من العلماء صنيعه ، بل كثيرا ما استشهدوا النقاد أو علماء اللغة في دراساتهم بأبيات الحماسة لثقتهم في روايتها ، و كان حري بالعلماء القدماء المتزمتين أن ينكروا على أبي تمام تصرفه في الأبيات ، لكنهم استحسنوا فعله تقديرا لشاعريته . يؤكد ذلك عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه لشرح المرزوقي : (نجد العلماء مجمعين على تزكية أبي تمام في الحماسة ، و على تزكية الحماسة و نصوصها بل يعدون صنيعه في الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبي تمام نفسه و الاستشهاد بشعره .) .

---

[1] – د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي : ص : 57 .

[2] – د . عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي . ص : 93 .

و قد سبق الزمخشري إلى المعنى نفسه عندما تحدث عن أبي تمام ، يقول : (و هو إن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه .) [1] .

محتوى الكتاب :

كتاب الحماسة كتاب في الشعر . صنفه أبو تمام تصنيفا موضوعيا ، إذ قسمه إلى عشرة ، و هي : باب الحماسة ، باب المراثي ، باب الأدب ، باب النسيب ، باب الهجاء ، باب الأضياف و المديح ، باب الصفات ، باب السير و النعاس ، باب المِلَح ، باب ملمة النساء .[2]

و الواضح أن هذا التقسيم مستمد من طبيعة موضوعات الشعر نفسه و تفرعه إلى أغراض متعددة .[3] لذلك فإن المواد الشعرية موزعة على نحو متجانس . يقصد أبو تمام من باب الأدب ما قيل من شعر في مكارم الأخلاق و الصفات الحميدة .أما باب السير و النعاس فقد أراد به شعر وصف الرحلة . أما باب الصفات هو على العموم شعر الوصف .

و الواقع أننا لا نعلم هل أن أبا تمام قد اكتفى بجمع من اختاره من مادة شعرية ؟ ثم عاد بعد ذلك فصنف المختارات في الأبواب المذكورة ؟ أم أنها وضعها منذ البداية ؟

و لا نعلم كذلك دوافع تسمية الكتاب باسم الحماسة . و هل أطلقه عليه صاحبه عند لحظة التصنيف أم بعدها ؟ [4] لكن من المؤكد أن تسمية الكتاب من اختيار المؤلف ، و إن كان بعض الدارسين يرى بأن التسمية لحقت بالكتاب بعد وفاة صاحبه . و كان مألوفا لدى العرب تسمية الكلام باسم الجزء شأن ذلك ما نجده من أسماء لسور القرآن الكريم مثل سورة البقرة و الأنعام و النمل . كما أنه انتشرت بين المؤلفين عادة تسمية الكتاب باسم الباب الأول مثل كتاب العين للخليل الفراهيدي . [5]

لتجاوز أبو تمام الشعراء الجاهليين و الإسلاميين ، و لم يكتف بالشعراء المغمورين فحسب ، بل شمل اختياره الشعراء المخضرمين الذين عاشوا بين الدولتين الأموية و العباسية كأبي الحية النميري و الحسين بن مطير الأسدي ، و ضم كذلك شعراء العصر العباسي الأول كمسلم بن الوليد ، و أبي العتاهية ، و أبي نواس ، و دعبل الخزاعي .

---

[1] – د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي : ص : 59 .

[2] – د عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي . ص : 94 .

[3] – د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي : ص : 60 .

[4] – د عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي . ص : 94 – 95

[5] – د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي : ص : 60 .

بلغ مجموع مقطوعات الحماسة 881 مقطوعة ، لم يوزعها أبو تمام بصورة متساوية أو متجانسة بين الأبواب . نجده قد ذكر في باب الحماسة 261 مقطوعة . أما في باب الصفات فلا يذكر غير ثلاثة مقطوعات .[1]

أهمية الكتاب :

يتميز كتاب الحماسة ، إلى جانب ما استعرضناه ، بجملة من الخصائص التي تضفي عليه قيمة بالغة ، و نجمل هذه الخصائص فيما يلي :

1- لقد استطاع أبو تمام ، نظرا لذوقه الشعري الرفيع ، أن يوفق في اختياره ، فأصبح مثلا أعلى للمؤلفين . لذلك احتذي الكثير بكتاب الحماسة ، و أول من سار على منواله الشاعر البحتري ، فوضع هو الآخر كتابا سماه : الحماسة . ثم جاء من بعد البحتري كثيرون ، فوضعوا كلهم ، و باسم نفسه كتبا ، بلغ عددها عشرة كتب :[2] و هي : حماسة البحتري ، و الحماسة المغربية ، و حماسة الخالدين ، و حماسة أحمد بن فارس ، و حماسة الزوزني ، و حماسة أبي العلاء المعري ، و حماسة الأعلم الشتنمري ، و حماسة ابن الشجري ، و حماسة أبي عامر الشاطي الأندلسي ، و الحماسة البصرية ، و حماسة العبيدي .[3]

2 - لاقت حماسة أبي تمام عناية الكثير من الشراح ، فهم قد تجاوز عددهم العشرين ، أشهرهم : المرزوقي ، و التبريزي ، و أبو بكر الصولي ، و ابن جني ، و الآمدي ، و أبو هلال العسكري ، و ابن سيدة ، و العكبري .

و قد يكون للشراح الواحد من هؤلاء الشراح عدة شروح ، مثلما هو شأن التبريزي الذي خص الحماسة بثلاثة شروح : موجز ، و مفصل ، و وسيط .

و يعد شرح المرزوقي أفضل الشروح ، لأنه أقدم الشروح و أكثرها قربا من عصر أبي تمام . كما يتميز بمقدمته النقدية القيمة .[4]

3- تصنيف الحماسة المستمد من موضوعات الشعر و أغراضه ، بخلاف المصنفات السابقة التي كان تبويبها عشوائيا .

4 - اعتمدت الحماسة على اختيار المقطوعات التي يسهل حفظها . لذلك قدم أبو تمام للشعراء المبتدئتين نماذج رفيعة ليحتدوا بها في النظم .

---

[1] - د عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي . ص : 96-97 .

[2] - د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي : ص : 61 .

[3] - د عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي . ص : 97.

[4] - د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي : ص : 61 – 62 .

طبعات الكتاب :

طبع كتاب الحماسة بشرح التبريزي عدة طبعات :

1- طبعة مدينة بون الألمانية عام 1878 م بتحقيق المستشرق الألماني فرايناخ ، مع ترجمة إلى اللاتينية .

2- طبعة بولاق بمصر عام 1296ه في أربعة أجزاء برعاية الشيخ محمد قاسم

3- طبعة السعادة بمصر عام 1913 في جزئيين .

4- طبعة بمصر بتحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد عام 1938 في أربعة أجزاء ، و قد تضمنت هذه الطبعة عدة فهارس مفيدة .

5- طبعت الحماسة بشرح المرزوقي في مصر عام 1952 بتحقيق أحمد أمين و عبد السلام هارون ، طبعت في طبعة ثانية عام 1967.[1]

كتب التراجم

التراجم هي كتب تعنى بتأريخ لحياة الأعلام و المشاهير . ظهرت منذ البدايات الأولى لحركة التدوين و التأليف ، و ارتبطت بعملية جمع الحديث النبوي الشريف و إسناده و تسجيله . لذلك كانت منطلق العلماء الأوائل تراجم الصحابة و التابعين و سائر حفاظ الحديث و رواته .

[1] - د عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي . ص : 99 .

[صفر] - و أول مؤلف في التراجم :

أبو بكر بن إسحاق (ت شعبان جمادى ثان رجب م / محرم جمادى أول محرم ه) مؤلف سيرة النبي - صلى الله عليه و سلم .

عبد الملك بن هشام (ت ربيع ثان صفر شعبان / ربيع أول محرم صفر ه) مؤلف السيرة النبوية الشهيرة

توسعت كتب التراجم ، بعد ذلك ، و لم تعد تهتم بمجال الدين فحسب ، بل وجهت العناية إلى رجال الأدب من شعراء و كتاب و لغويين و نحويين . لذلك و ظهر العديد من المصنفات و التي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

تراجم الشعراء :

و هي كتب تؤرخ لحياة الشعراء . و كانت وجهتها متباينة ، منها ما اقتصر على الشعراء القدماء جاهليين و إسلاميين ، و منها ما توسع في الترجمة حتى شملت الشعراء المعاصرين للمؤلف ، و منها ما اعتمد الانتقاء ، و منها ما لم يهمل الشعراء مهما كانوا مشهورين أو مغمورين .

و من أهم هذه المصنفات كتاب فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، و هو أول كتاب يترجم للشعراء ، رتبه ابن سلام في طبقات متتابعة زمانيا تخص شعراء الجاهلية و صدر الإسلام .

الواقدي (ت ربيع أول ربيع أول شعبان م / رجب جمادى أول صفر ه) مؤلف المغازي النبوية .

محمد بن سعيد الزهري (ت جمادى أول ربيع ثان شعبان م / شوال ربيع أول صفر ه) مؤلف طبقات الصحابة

أنظر : الفاخوري حنا : تاريخ الأدب العربي : ص 771 .

و من هذه الكتب كذلك كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة ، و هو كتاب يشبه كتاب طبقات فحول الشعراء ، غير أنه يتميز بترجمته للشعراء دون الأخذ بمبدأ الطبقات ، و يتفرد بمقدمته النقدية المهمة .

و من هذه المصادر كتاب المؤلف و المختلف للآمدي ، و قد تناول تراجم الشعراء الذين تماثلت أسماؤهم و اختلفت أشخاصهم [1] .

تراجم اللغويين و النحاة :

و هي كتب اعتنت بالترجمة لرجال اللغة و النحو . و قد تنوعت هي الأخرى ، فمنها من اعتمد على المقياس الزماني في الترجمة للأعلام ، و منها ما اتبع مقياس الإقليم ، و منها ما اتبع الترتيب الأبجدي .

و لعل من أوائل كتب التراجم كتاب طبقات النحويين البصريين لأبي العباس المبرد (ت ه) ، ثم توالت بعد ذلك كتب كثيرة .

و يعد كتاب طبقات النحويين و اللغويين للزبيدي الأندلسي (ه) من أفضل ما وصلنا من كتب تراجم النحاة ، فهو

[1] – د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي . ص : 235– 256–237–238–239–240–241–242 .

اعتمد في التقسيم على مقياس المكان ، فقسم الأعلام بحسب المدارس اللغوية و النحوية (البصرة ، و الكوفة ، مصر ، و إفريقية ، و الأندلس) . اعتمد أيضا على مقياس زماني ، و يظهر أن مفهوم الطبقة عند الزبيدي قد اقترب من مفهوم الجيل [1] .

تراجم الأدباء العامة :

و هي كل الكتب التي اعتنت برجال التأليف بصرف النظر في اختصاصهم . أفرزها التطور الحضاري و الثقافي للأمة . اتبعت إحدى المنهجيات التالية :

منهجية التأليف العمومي : و هي تترجم لفترة طويلة تستمر إلى عصر المؤلف ، من هذه الكتب وفيات الأعيان لأبن خلكان (محرم شعبان جمادى الثاني ٥)

منهجية التأليف الأفقي : و يكون التأليف بحسب الشرائح في فترة زمانية محدودة مثل كتاب أعلام القرن التاسع عشر للسخاوي .

منهجية التأليف بحسب البلدان : مثل كتاب تاريخ دمشق لابن العساكر ، و كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . [2]

---

[1] – المرجع السابق : 256-257-258-259-260-291.

[2] – المرجع السابق : 271-282 .

كتـاب طبقات فحـول الشعراء

لابن سلام الجمحي

يعد مؤلف طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي أول كتاب في النقد وصل إلينا كاملا . صنف ابن سلام في الكتاب المذكور الشعراء في مراتب و طبقات . اتبع فيه طريقة جديدة في التأليف ، على خلاف ما كانت عليه الكتب التي ألفت في عصره أو قبله ، إذ كان مؤلفوها يسعون إلى جمع الروايات المختلفة من الشعر ، كما هو الشأن في كتاب الكامل للمبرد ، و كتاب البيان و التبيين – للجاحظ ، أما ابن سلام « فكان يهدف إلى تقدير الشعراء وفقا لمقاييس معينة تفتق عنها ذهنه ، و علمه و ذوقه الشخصي ، ومن ثم سمى كتابه طبقات الشعراء .[1]

– تعريف صاحب الكتاب :

و صحاب الكتاب ه و أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي ، و هو من أكبر علماء الشعر . و لد بالبصرة سنة 139 ه ، و عاش ببغداد حتى توفي بها في عام 232ه . أخذ رواية الشعر عن والده ، و من كبار علماء عصره من أمثال : خلف الأحمر ، و أبي عبيدة معمر بن المثنى ، و أبي زيد الأنصاري ، و المفضل الطبي ، و يونس بن حبيب كما روى عنه كثير من العلماء منهم : أحمد بن حنبل ، و أحمد بن يحي ثعلب ، و المازني ، و الرياشي ، وأبو خليفة الجمحي ابن أخت سلام ، وهو الذي روى عنه كتاب طبقات الشعراء[2] . جاء في مستهل كتاب طبقات فحول الشعراء : (وأخبرنا أبو القاسم سليمان ابن أحمد بن أيوب الطبراني قال قرئ على الفضل بن الحباب وأنا أسمع أبو نصر أخبرك أبو سعد إننا أنبا أبو نعيم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أسيد قال قرئ على القاضى قرأه عليه سنة إحدى وسبعين و ثلثمائة قال القاضى وهو الفضل بن الحباب الجمحى أبو خليفة قال محمد بن سلام الجمحى..)[3]

- محتويات الكتاب

قسم بن سلام كتابه إلى قسمين هامين :

المقدمة :

---

[1] – د . عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية . ص : 227 .

[2] – المرجع السابق : ص 227 .

[3] – ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء . . تحقيق محمود محمد شاكر . السعودية . جدة . دار المدني . الجزء : 1 . ص : 3

اهتم ابن سلام فيها بقضية توثيق المرويات الشعرية، فناقش قضية الانتحال في الشعر القديم واقترح حلولاً لها. وتحولت تراجمه – في متن الكتاب– إلى دراسة تطبيقية يمحّص فيها ما يروى لكل شاعر، ويشير إلى الصحيح و المنحول من شعره و يعلل ذلك .

تحدث في المقدمة ، كذلك ، عن قضايا نقدية مهمة . أشار إلى النقد و الناقد ، و إلى مفهوم الشعر و صناعته .

القسم الثاني :

و هو يمثل صلب الكتاب نفسه ،وقد قسمه ابن سلام كتابه قسمين كبيرين :

الأول : لفحول الشعراء في الجاهلية ، و ***الثاني*** : لفحول شعراء الإسلام مدرجاً في طبقاتهما الشعراء المخضرمين ، ثم خصص طبقة لشعراء القرى العربية (المدينة ومكة والطائف والبحرين) و مع أنه تحدث عن شعراء المدينة في الطبقة السابقة ، إلا أنه أفرد طبقة أخرى لشعراء يهودها قائلا ً:" وفي يهود المدينة و أكنافها شعر جيد منهم السموأل بن عدياء من أهل تيماء .[1] " وخصص كذلك طبقة لشعراء المراثي لم يشغله فيها الحديث عن دوافعه كفن إنساني، وإنما شغل فيها بتفصيل أخبار العرب ووقائعها .

– القضايا النقدية التي تناولها ابن سلام في مقدمة الكتاب :

أ) توثيق المدونات الشعرية :

و قد أشار ابن سلام في مقدمة كتابه – طبقات الشعراء – إلى قضية نقدية طالما شغلت النقاد القدماء ، و هي قضية و ضع الشعر الذي يضاف إلى الجاهلية و ليس للجاهليين ، و هذه الفكرة أقلقته و أزعجته ، و تحتل المكانة العظيمة مما يتصل بالنقد الأدبي في مقدمة الكتاب .

و ترد هذه الفكرة في كتابه حينا بعد حين ، و الكلام عن الشعر المصنوع كان طبيعيا في عصر ابن سلام ، العصر الذي كادت أن تنتهي فيه الرواية . هذا العصر الذي « أقبل فيه العلماء على تدوين الشعر ليسلموه إلى الأجيال المقبلة ، فنبه بعض العلماء على أن هناك شعرا مصنوعا كخلف ، و المفضل الطبي ، و كان ابن سلام أشدهم تحرجا من هذا الشعر ، و أنفذهم صوتا في هذا المقام .. أراد أن يشعر الآتين لما يجب عليهم من الحذر و التبصر فيما يسند إلى الجاهليين... أراد خدمة الروح العلمية بإسناد كل قول إلى صاحبه ، و كل شعر إلى عصره .»[2]

يقول ابن سلام : (وفى الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة في عربية ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف و قد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية و لم يعرضوه على العلماء و ليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شئ منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي وقد اختلف العلماء بعد في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الأشياء فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه .)[3]

---

[1] – المصدر نفسه : الجزء الأول : ص : 279 .

[2] – طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع . بيروت . دار الحكمة ص : 76 .

[3] – ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء . الجزء : الأول . ص : 4 .

أشار ابن سلام إلى أسباب النحل و الانتحال ، و لخصها فيما يلي :

ضياع معظم الشعر العربي بسبب عدم تدوينه في صحيفة . و ينبغي ، مثلما هو واضح من النص ، الإشارة إلى التقاليد العلمية الرائجة في العصر التدوين كانت تحط من قيمة العالم الذي يعتمد في روايته على صحيفة .

انقطاع رواية الشعر بسبب انشغال العرب بالدعوة إلى الإسلام و بحروب الفتح ، و مقتل عدد كبير من رواة الشعر .

دور العصبيات القبلية في وضع الشعر سعيا للتفاخر بالمآثر أو طلبا للنفوذ و السلطة . يقول ابن سلام : (فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم .) ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت و ليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون وإنما عضل بهم .)[1]

دور بعض الرواة في وضع الشعر و نسبته إلى الشعراء القدماء سعيا للتكسب أو بدافع التعصب .[2] يقول ابن سلام : (ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت و ليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون وإنما عضل بهم) .[3]

ب) صفات الناقد و شروطه :

و حددها ابن سلام كما يلي :

الذوق الشخصي : و هو أساس الحكم على الشعر .[4]

الدربة و المران على نقد الشعر : و يعلل ابن سلام بمثال توضيحي ، يقول : (وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون جيدة الشطب نقية الثغر حسنة العين والأنف جيدة النهود ظريفة اللسان واردة الشعر فتكون في هذه الصفة بمائة دينار و بمائتي دينار وتكون أخرى بألف دينار وأكثر ولا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة وتوصف الدابة فيقال خفيف العنان لين الظهر شديد الحافر فتي السن نقي من العيوب فيكون بخمسين دينارا أو نحوها وتكون أخرى بمائتي دينار وأكثر وتكون هذه صفتها ، و يقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء إنه لندى الحلق طل الصوت طويل النفس مصيب للحن ويوصف الآخر بهذه الصفة وبينهما بون بعيد يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له بلا صفة ينتهي إليها ولا علم يوقف عليه ، وأن كثرة لمدارسة لتعدي علي العلم به فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به)[5]

ج – مفهوم الشعر :

---

[1] – المصدر السابق : ص : 48

[2] – د . عز الدين إسماعيل : المرجع نفسه : ص : 230 .

[3] – ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء . الجزء : الأول . ص :48

[4] – د . عز الدين إسماعيل : المرجع نفسه : ص : 230

[5] – ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء . الجزء : الأول . ص 6 ، 7 .

قدم ابن سلام الجمحي مفاهيم تتصل بالشعر، و تعبر عن طبيعته، و تتمثل فيما يأتي :

1- القريحة :

ورد في لسان العرب : (قريحة الإنسان : طبيعته التي جبل عليها، لأنها أول خلقته .... وقيل قريحة كل شيء أوله)[1] . و قد استعمل ابن سلام لفظ القريحة في السياقات كـثيرة ، منها (لم يكن أوس بن مغراء إلى النابغة الجعدي في قريحة الشعر، وكان النابغة فوقه.. وغلب الناس أوسا)[2]. و علق محقق الكتاب محمود محمد شاكر على اللفظ ، فقال : (القريحة : خالص الطبيعة التي جبل عليها ، وجوهرها الصافي غير المشوب ، يعني استنباط الشعر بجودة الطبع)[3]

يقول ابن سلام عن خداش بن زهير: (هو أشعر في قريحة الشعر من لبيد، وأبي الناس إلا تقدمه لبيد)[4]. و قال أيضاً: (الكميت بن معروف ، و هو شاعر ، وجده الكميت بن ثعلبة شاعر، وكميت بن زيد الآخر شاعر. و الكميت بن معروف الأوسط أشعرهم قريحة، والكميت بن زيد أكثرهم شعراً)[5]

ولعل ابن سلام يستعمل اصطلاح (القريحة) بمعنى مشابه لاصطلاح (الطبيعة) أو (عرق الصناعة) لدى بشر بن المعتمر أو (الطبع) و (الغريزة) لدى الجاحظ ، أو (الغريزة) و (الطبع) لدى ابن قتيبة ، أو (الطبع) لدى القاضي الجرجاني ، أو (الطبع) و (الآلة) لدى ابن سنان الخفاجي ، أو (الملكة) عند ابن خلدون . و كل هذه الاصطلاحات تشير إلى الموهبة اللازمة للإبداع الفني والاستعداد الفطري له. وهو ما يمكن أن يفهم أيضاً من قول ابن سلام (و للشعر صناعة و ثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم و الصناعات منها ما تثقفه العين و منها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة و لا وزن دون المعاينة ممن يبصره و من ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون و لا مس و لا طراز ولا وسم ولا صفة ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها و زائفها و ستوقها و مفرغها ومنه البصر بغريب النخل والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده)[6].

و مهما يكن ضبط كلمة صناعة -عند المحقق هامش بفتح الصاد أو بكسرها، نستطيع استنتاج أن للشعر صناعة يصح أن تقرن بالعلم. ويمكن أن توضح دلالاتها عبارة ابن خلدون الآتية – على الرغم من الفرق الزمني الهائل بينهما – (الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري)[7]

---

[1] – أبن منظور : لسان العرب: مادة قرح.ط.دار الشعب . ص3752 . ج4.

[2] – ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء . الجزء : الأول . ص : 126

[3] – المصدر نفسه . الجزء الأول . الهامش رقم : 1 . ص : 126 .

[4] – المصدر نفسه : الجزء الأول : ص : 144 .

[5] – المصدر نفسه : الجزء الأول : ص : 195

[6] – المصدر نفسه : الجزء الأول : ص : 5.

[7] – ابن خلدون: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد ت808هـ، المقدمة، تحقيق: د.علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر -القاهرة. ج 2 . ص : 935 .

ينتصر ابن سلام للموقف الشعري الدال على اختيار الطبع، من ذلك ما يذكره من إعجاب الأصمعي بشعر النابغة الجعدي، الذي يدل اختلافه على جودة طبع صاحبه . و قال عن الأعشى : (وكان أبو الخطاب الأخفش مستهتراً به يقدمه. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره) [1].

2-الشعر والكذب:

لعل من الدلالات المهمة للكذب في الشعر دلالة فنية، تربط بينه و بين التصوير . الشعر عند ابن سلام أمران : التأليف والزور. والزور -في لغة العرب- (الكذب والباطل، وكلام مزور: مموه بكذب ، و قيل : محسن ، وقيل : هو المثقف قبل أن يتكلم به .. التزوير تزيين الكذب.. التزوير : التشبيه، و التزويق و التحسين. وزورت الشيء حسنته وقومته. و قال الأصمعي: التزوير تهيئة الكلام وتقديره) [2]. وعلى ذلك فالشعر لدى ابن سلام يرتبط بالكذب ، بدلالته الأخلاقية والفنية على السواء، فكما تشير كلمة الزور إلى الكذب، و إلى التحسين .

يذكر ابن سلام عن كعب بن مالك (وكان أحد الثلاثة اللذين تخلفوا عن تبوك.. ويروي أن قومه قالوا في ذلك: لو اعتذرت إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ببعض ما يعتذر به إلى الناس ، عذرك قال: إني لأصنعهم لساناً وأقدرهم على ذلك، ولكن والله لا أعتذر إليه بكذب . وإن عذرني فيطلعه الله عليه) [3]

بناء القصيدة :

من أهم النصوص النقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء ، النصوص التي يقدم بها ابن سلام خصائص شعراء الطبقة الأولى الجاهلية، من خلال الاحتجاج لكل واحد منهم .

يقول : (فاحتج لامرئ القيس من يقدمه قال : ما قال ما لم يقول، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء وبالبيض، وشبه الخيل بالعقبان و العصي و قيد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى) [4].

يحتج ابن سلام للأعشى فيقول : (و قال أصحاب الأعشى: هو أكثرهم عروضاً، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحاً وهجاء وفخراً ووصفاً كل ذلك عنده. و كان أول من سأل بشعره، و لم يكن له مع ذلك بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه) [5].

يشير النص إلى جملة من الشروط الفنية نلخصها فيما يلي :

ضرورة تنوع أغراض الشاعر ، و تنوع أوزانه .

---

1 - المصدر نفسه : الجزء الأول . ص : 166 .

2 - بن منظور: لسان الرب ج21 مادة زور ص1888-1889.

3 - - المصدر نفسه : الجزء الأول . ص : 222 ، 223 .

4 - المصدر نفسه : الجزء الأول . ص : 55 .

5 - المصدر نفسه : الجزء الأول . ص : 65 .

أغراض الشعر الرئيسية هي: المدح والهجاء والفخر والوصف، ويقرن ابن سلام الوصف بالتشبيه دليلاً على القرب بينهما، كما فعل أثناء حديثه عن تشبيهات امرئ القيس[1] ويلاحظ أن التفرد بالوصف أو التشبيه فقط لا يجعل من الشاعر فحلاً، كما في حالة ذي الرمة وكان أحسن الإسلاميين تشبيهاً.[2]

إن من أسباب تفضيل الشاعر وتقديمه: الإطالة والجودة، وقد اعتمده ابن سلام أساساً في ترتيب طبقاته كما قدمنا. ومن أمثلته قوله عن الأسود بن يعفر: (وكان الأسود شاعراً فحلاً... وله واحدة رائعة طويلة لاحقت بأجود الشعر، لو كان شفعها لمثلها قدمناه على مرتبته)[3]

القسم الثاني من الكتـــاب :

يمثل القسم الثاني من كتاب طبقات الشعراء لابن سلام صلب الموضوع و قد شرع فيه إلى تصنيف الشعراء إلى مراتب ، و هو يوضح منهجية في هذا التصنيف يقوله: « ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية و أدركوا الإسلام ، فنزلناهم منازلهم ، و احتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة و ما قال فيه العلماء و قد اختلف الناس و الرواة فيهم ....فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط لكل طبقة ، متكافئين معتدلين »[4] يقول ابن سلام أنه وجد الشعراء الجاهلين عشر طبقات و السؤال الذي ذهبنا ، و هو لماذا وجدهم أقل أو أكثر من ذلك ؟ ولكن يمكن أن ابن سلام أراد أن يتم العدد عقدا و العشرة أول عقود الأعداد . و لكن ملحوظة أخرى تتمثل في أن ، لماذا جعل ابن سلام كل طبقة أربعة رهط و لم يجعلهم كذلك أقل أو أكثر ؟ فابن سلام يعلل في جعله كل طبقة أربعة رهط فيقول : « ثم إن اقتصرنا بعد الفحص و النظر و الرواية عمن مضى من أهل العلم إلى رهط أربعة ، على أنهم أشهر العرب طبقة ثم اختلفوا فيهم بعد ، و سنسوف في أخلاقهم و اتفاقهم و نسمي الأربعة و نذكر الحجة لكل واحد منهم »[5]

نلاحظ أنه يعلل اختيار أربعة شعراء لأن أهل العلم اختاروا أربعة و جعلوهم في طبقة واحدة على أنهم أشعر العرب و قياسا على صنيع أهل العلم من الاختبار مضى ابن سلام و الطبقة الأولى من الجاهليين هم : امرؤا القيس ، و زهير بن أبي سلمى ، و النابغة الذنياني ، و الأعشى الأكبر ، و بعد طبقات الجاهليين العشر ذكر ابن سلام طبقة أصحاب المراثي و قد أفردهم بمنزلة مستقلة لأنهم تفرضوا بغرض واحد من أغراض الشعر و لم يقولوا في غير ه فأنزلهم منزلة خاصة و جعلهم في طبقات سائر الفحول . ثم ينتقل بعد ذلك إلى صنف آخر و هو طبقات شعراء القرى العربية حسب قراهم و هم شعراء المدينة ، و شعراء اليهود من أهل المدينة ، وهم ثمانية شعراء ، و مجموع هؤلاء جميعا من شعراء القرى و شعراء اليهود من أهل المدينة و غيرهم ثلاثون شاعرا ، و قد جعلهم ابن سلام في طبقة واحدة خاصة و لم ينزلهم في سائر طبقات الفحول لنشأتهم الحضرية و اختلافهم بطبيعة شعرهم وروحه و

---

1 – ابن سلام : المصدر نفسه . الجزء الأول . ص :8 .

2 – المصدر السابق : ج 1 . ص : 55

3 – المصدر السابق : ج 1 . ص : 147 .

4 –د عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية اللغوية .ص 222.

5 – مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية ص 349.

لغته عن شعراء البادية ، وهذا يدل على تفطن ابن سلام لأثر البيئة الطبيعية و الاجتماعية في الشعر و هي نظرة صائبة دقيقة.

أما في القسم الثاني في الكتاب اختيار ابن سلام أربعين شاعرا من المشاهير الكبار كما صنع في القسم الأول منه و رتبهم في عشر طبقات أيضا كطبقات الجاهلين

و مجموعة الشعراء الذين ذكرهم ابن سلام في كتابه طبقات الشعراء «114» مائة و أربعة عشر شاعرا من مشاهير شعراء العرب . و لم يذكر في كتابه أحدا من الشعراء المحدثين ، و السبب في ذلك أن كيان هؤلاء لم يكن قد اكتمل بعد ، كما أن عددهم لم يكن قد كثر ، و الرأي فيهم لم يكن قد اشتهر في أيامه ، و كان معظم العلماء و أهل زمانه مشغوفين بالقديم ، لا يرون في الشعر الحديث شيئا يعتد به .

و لقد حملت روح الكتاب ابن سلام على ألا يتعرض لتحليل نصوص الشعراء المختارين ، فيدفعه ذلك إلى إظهار جمالها الفني و عناصرها الرائعة ، أما ما عسى أن يكون فيها من ضعف و هزال و لكنه انصرف إلى الشعراء أنفسهم ، ذكرا لهم ما يراه جيدا دون أن يذكر أسباب تلك الجودة في الغالب و لهذا ليس لابن سلام أحكام على النصوص الشعرية بل هي أحكام على الشعراء ، و تنويه عالمهم من القول الطيب و بمالهم من نظرة و بالمنزلة التي أنزلهم فيها .

و نورد أمثلة لابن سلام في هذه الطريقة التي اتبعها في عرض نظريته على الشعراء و أحكامه عليهم . يقول : فعلقمة الفحل له ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر ، و سويد بن أبي كاهل له قصيدته التي أولها :

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع [1]

و أحكامه على الشعراء أحكام صائبة و لكنهما في أحيان غير عميقة و لا محدودة فيقول : « و كان لكثير في التشبيب نصيب وافر و جميل مقدم عيد ، و على أصحاب النسيب جميعا ، و الشماخ بن ضرار كان شديد متون الشعر ، أسد أسر الكلام من لبيد ، و فيه كزازة ، و لبيد أسهل منه منطقا . » [2]

تمثل هذه الأحكام من كتاب ابن سلام و مما اهتدى إليه بنفسه و بذوقه الخاص .

أما عندما تعرض ابن سلام لتراجم الشعراء فقد أوردها بسيطة فبعضها طويل يبلغ عشرات الصفحات و بعضها الآخر قصير لا يعدو الأسطر القليلة ، و يبدو من ذلك أن ابن سلام قد تأثر في ذلك بأهل زمانه و علمائه فهو يطيل ترجمة الشاعر الذي يكثرون الاهتمام به و يختصر ترجمة الشاعر الذي لا يعنون به كبير عناية .

و مما سيق عرضه يمكن القول أن كتاب طبقات الشعراء لابن سلام في مجموعه مصدرا أساسي في موضوع الشعر و الشعراء في تاريخ الأدب العربي ، فيه جملة صالحة أجود لشعر العرب و أنفسه أوردها ابن سلام بعد أن اختارها من أحسن ما قاله كل شاعر في عصره لذا فهذا الشاعر بعد من عيون الشعر العربي .

و قد فاضل ابن سلام بين الشعراء على أسس ثلاثة منها : الجودة ، و الكم ، و تنوع الأغراض التي قال فيها الشاعر ، فإذا اتفق شاعران في الإجادة ، و لكن ما روي عن أحدهما كان أقل مما روي عن الآخر ، يصنع الثاني في مرتبة سابقة من مرتبة الشاعر الأول ، يقول في ذلك : «أربعة رهط محكمو مقلون ، و في أشعارهم قلة فذاك الذي

---

[1] – طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب . ص : 81 .

[2] – المصدر نفسه ص : 82 .

أخرهم »[1] ، كما يقول في موضع آخر في نفس الفكرة : «و هم أربعة رهط فحول الشعراء ، موضعهم مع الأوائل و إنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة . »[2]

---

[1] – د . عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية ص : 222

[2]– المرجع نفسه . ص : 223 .

معجم الأدباء لياقوت الحموي

- تعريف صاحب الكتاب :

هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله - من أصل رومي . ولد عام 574ه ببلاد الروم ، و أسر و هو صغير ، ثم بيع لتاجر ببغداد يسمى عسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي .

دفعه سيده الحموي إلى الكتاب لينتفع به في تجارته ، فاعتكف ياقوت على طلب العلم ، و على مطالعة الكتب .

اعتقه سيده اثر خلاف حدث بينهما ، فاشتغل ياقوت بنسخ الكتب ، ثم بالتجارة . سكن مدينة دمشق ، غير أنه غادرها حين أعلن انتماءه للخوراج . رحل إلى مدينة الموصل ، ثم إلى مدينة خوازم حيث صادف نزوله بها خروج التتار منها عام 616 ه . استقر بعد ذلك في مدينة حلب ، و ظل بها حتى توفي بها عام 626 ه .

ترك ياقوت الحموي عدة مصنفات منها : إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء ، و كتاب معجم البلدان ، و معجم الشعراء ، و معجم الأدباء .[1]

- كتاب معجم الأدباء :

معجم الأدباء من الكتب الهامة في مجال تراجم الأدباء . توسع فيه ياقوت الحموي ، على عادة العرب ، في مفهوم الأدب و الأدباء ، فترجم للكثير من الشعراء و اللغويين و النحويين و القراء ، و لاسيما للذين عرفوا من هؤلاء بالتأليف و التصنيف .

غير إنه في تراجم الشعراء قد اكتفى بالشعراء الذين لهم مؤلفات كأبي تمام و البحتري و أبي العلاء المعري ، لأن ياقوت عدهم من الأدباء ، بينما الشعراء الذين عرفوا بالشعر فحسب فقد خصهم بكتاب لم يصل إلينا و هو (معجم الشعراء) .

---

[1] -- د . عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية ص: 253 .

يذكر عز الدين إسماعيل أن ياقوت الحموي قد أدرك ضخامة المادة التي يعرضها في معجم الأدباء ، فلجأ إلى الاختصار ، فاكتفى بالأدباء الذين لهم مؤلفات . و لجأ ، كذلك ، إلى إسقاط الأسانيد [1] .

رتب ياقوت الحموي معجمه على حروف المعجم . و قد اتبع طريقة المرزباني ، غير أنه تميز عنه بالدقة . لم يكتف الحموي ، مثل المرزباني ، في ترتيب الأعلام بالحرف الأول من الاسم ، بل اهتم بالحرف الثاني و الثالث و الرابع .

و قد صادف ياقوت الحموي ، نظرا لضخامة المادة ، تماثل الكثير من أسماء الأعلام و أسماء آبائهم ، لذلك رتبهم بحسب تواريخ وفاتهم .

إذا كان ياقوت الحموي قد ترجم لكل شاعر أو علم باسمه الحقيقي من غير الإشارة إلى اللقب الذي اشتهر به ، مما جعل الكشف عن الشعراء الأعلام صعبا ، فإن ياقوت الحموي قد استطاع تلافي هذه المشكلة ، إذ أفرد في نهاية كل حرف فصلا ذكر فيه من اشتهر بهذا اللقب من غير أن يورد أي تفصيل عن حياة العلم

و الملاحظ في معجم الأدباء أن ياقوت لم يعتمد على الترتيب المكاني ، بل جمع كل الأعلام من بصريين و كوفيين و بغداديين و حجازيين . [2]

– مقدمة الكتاب :

استهل ياقوت الحموي كتاب معجم الأدباء بمقدمة ، تعرض فيها لقضايا عديدة ، و منها :

ذكر دافع تأليف المعجم : يقول ياقوت في هذا الصدد : (فما زلت مند غلبت بغرام الأدب ، و ألهمت حب العلم و الطلب ، مشغوفا بأخبار العلماء ، متطلعا إلى أنباء الأدباء .

ذكر الكتب التي ألفت قبله في التراجم ، بحيث كان ياقوت ، أثناء ذلك العرض ، ينتقد كل كتاب على حدة . يقول عن أبي بكر محمد بن عبد الملك في أخبار النحويين ، و لم يذكر اسم الكتاب : (هذا مع أن الكتاب صغير الحجم ، قليل التراجم ، محشو بالنوادر التي رواها { أي : رواها النحويون } لا يختص بأخبارهم أنفسهم .) . لا يذكر الحموي ، مثلما أشرنا إلى ذلك ، أسماء الكتب ، و إنما يسمي أصحابها ، باستثناء كتاب علي فضال المجاشعي (شجرة الذهب في أخبار أهل الأدب) ، و كتاب ابن الأنباري (نزهة الألبا في أخبار الأدبا) .

اتبع ياقوت قوائم كتب التراجم قبله بفقرات تناول فيها فوائد و فضائل علم الأخبار . يقول في هذا الصدد : (يستمتع بسماعه العالم ،و يستعذب موقعه الأحمق .. و يميل إلى روايته العربي و العجمي .) . يرى الحموي أن كل عالم لا يعرف علم الأخبار لا يحقق الهدف الأسمى للعلم ، و يظل علمه بعلوم العربية محدود .

---

[1] – المرجع السابق : ص : 255، 256 .

[2] – المرجع السابق : ص : 257

بعد هذه المقدمة يشرع ياقوت في تراجم الأعلام .

– أهمية معجم الأدباء :

يعد معجم الأدباء مصدرا أساسيا لكل من يتقصى أخبار الأدباء العرب إلى عصر المؤلف . و من حسن الحظ أن ياقوت الحموي عاش إلى عصر متأخر نسبيا ، لذلك فإن معجمه ضم العديد من أدباء العربية .

– طبعات الكتاب :

أصدر الطبعة الأولى لمعجم الأدباء المستشرق مارجليوت عام 1907 . أما الطبعة الثانية فقد طبعت بدار المأمون المصرية عام 1936 بتحقيق أحمد فريد الرفاعي . و تمتاز الطبعة الثانية بفهارس وافية للأعلام و البلدان و الكتب .[1]

المعاجم اللغوية

– بين القاموس والمعجم

يورد صاحب القاموس في مادة " قمس" أنها تعني " الغوص" ، و أن " القموس" هي : (بئر تغيب فيها الدلاء من كثرة مائها)، أما القاموس فهو " معظم ماء البحر" .

---

[1] – المرجع السابق : 258 .

و يشرح لويس معلوف كلمة " القاموس" بمعنى "البحر" و هو أيضا (كتاب الفيروز آبادي في اللغة) ثم يضيف (و يطلقه أهل زماننا على كل كتاب في اللغة، فهو عندهم يرادف كلمة معجم ، ويترجم " جوزيف نعوم حجار " في " المنجد العربي الفرنسي للطلاب "كلمة" قاموس، بالمقابل الفرنسي "Dictionnaire" دون الإشارة إلى معنى البحر ويعيب د.إبراهيم السامرائي هذا الاستعمال ، ويرى أن الصواب هو استعمال كلمة "معجم" للتمييز بين كتاب "الفيروز آبادي" المشهور، والمؤلفات المعجمية الأخرى . إلا أن د.عبد العلي الودغيري يرى أن هذا الاستعمال (القاموس) قد شاع حاليا، و قد انتهى الأمر فيه، فبعد أن كانت كلمة " قاموس" تعني (وسط البحر أو معظمه، ثم أصبحت علما على كتاب الفيروزآبادي) (صارت) تعني أخيرا كل كتاب لغوي يحتوي على طائفة من الكلمات المرتبة والمشروحة . يجب إذن الفصل بين " قاموس" و " معجم " فيستعمل المصطلح الأول للدلالة على (كل كتاب أو تأليف له هدف تربوي و ثقافي و يجمع بين دفتيه قائمة من الوحدات المعجمية (المداخل) التي تحقق وجودها بالفعل في لسان من الألسنة و يخضعها لترتيب و شرح معيّنين) ويقابله في الفرنسية كلمة (Dictionnaire)، أما مصطلح معجم فيرى أنه أنسب للدلالة على (المجموع المفترض واللامحدود من الوحدات المعجمية التي تمتلكها جماعة لغوية معينة بكامل أفرادها، بفعل القدرة التوليدية الهائلة للغة ، ويقابله في اللغة الفرنسية (Lexique).

ويسير كل من د.عبد القادر الفاسي الفهري و ليلى المسعودي في نفس الاتجاه الذي يدعو إلى التمييز بين المصطلحين، يقول الفاسي الفهري عن اصطلاح "القاموس" إنه (الصناعة التي تتوق إلى حصر لائحة المفردات ومعانيها) أما " المعجم" (فهو المخزون المفرداتي الذي يمثل جزءا من قدرة المتكلم / المستمع اللغوية) . وتقترح ليلى المسعودي بدورها مصطلح (قاموس) كمقابل ل: (Dictionary / dictionnaire) لأنه يقدم المداخل المعجمية مصحوبة بمعلومات تخص النطق و الاشتقاق و المرادفات و الأضـــداد و التعاريف إلخ...) . و المعجم للدلالة على : (Lexicon/lexique) لأنه (يقتصر على إدراج مجموعة محصورة من المصطلحات تنتمي إلى حقل معرفي محدد و لا تكون مصحوبة بالمعلومات التي نجدها في القواميس) في حين لا يميز أصحاب " القاموس الموسوعي لعلوم اللغة

---

[1] – المجد الفيروز آبادي: القاموس المحيط "مادة قمس".

[2] – لويس معلوف: المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية- بيروت.

[3] – جوزيف نعوم حجار: المنجد العربي الفرنسي للطلاب، منشورات دار المشرق -بيروت.

[4] – انظر د.عبد العلي الودغيري في (اللسان العربي) العدد33-1989،هامش رقم 1 ص.130 على مقال بعنوان: ''قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي".

[5] – المرجع نفسه .

[6] – المرجع نفسه .

[7] –- د.عبد القادر الفاسي الفهري: تعريب اللغة وتعريب الثقافة بالمجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، عدد اغسطس 1985، ص73.

[8] – ليلى المسعودي: ملاحظات حول معجم اللسانيات، اللسان العربي، العدد1991/35 ص209.

" مثلا ، بين المصطلحين فهما يعنيان عندهم نفس الشيء كما يتجلى في تعريفهم التالي (القاموس أو المعجم يشير إلى المعنى أو المعاني التي تتضمن الكلمات... ولأسباب تبسيطية يمنح القاموس معلومات عن أشكال التغيرات الصرفية الخاصة بكل كلمة) .

وتلاحظ J. Rey-Debore في موسوعة " le langage "، حول مادة (معجم وقاموس) أن (الباحثين الأمريكيين يستعملون مصطلح " قاموس" حيث يستعمل الباحثون الفرنسيون مصطلح "معجم") و ترى أن (القاموس يعد من أهم الأدوات الثقافية المحاطة بالإبهام) لأنه في نظرها يتداخل مع عدة مراجع كثيرة الرواج بين الباحثين ، و تحدد مجالاته كالتالي (القاموس نص مزدوج البناء : هناك متوالية من المداخل العمودية تكون مرتبة حسب النظام الألفبائي ، في مقابلها برنامج من المعلومات حول هذه المداخل يؤلف مجموعها جملة من المقابلات... هذا البناء المزدوج يجعل من القاموس كتابا مرجعيـــا، و ليس نصا يقرأ من أول صفحة إلى آخرها [2] فهذه المجالات تقتضي (صناعة) خاصة تقوم (لأغراض عملية) كما يرى ذلك د. علي القاسمي ، و أن لهـــذه الصناعـــة متخصصين لا يتقيدون بما يتقيد به علماء اللغـــة في دراستهم اللسانية ، فهم يتبعون الخطوات الآتيـــة (جمع المعلومات و الحقائق و اختيار المداخل و ترتيبهـــا طبقا لنظام معين ، كتابة المواد ثم نشر النتاج النهائـــي) [3]

– نشأة المعجم العربي اللغوي وتطوره :

نشط الرواة والعلماء في القرن الأول والثاني الهجريين في جمع اللغة من أفواه العرب بقصد تدوينها وحفظها . و انبرى بعضهم يضع الكتب في تفسير الغريب دون ترتيب . و في مرحلة لاحقة ، جرى تدوين ألفاظ اللغة مرتبة في رسائل متفرقة مبنية على حرف من الحروف أو معنى من المعاني .

أما مرحلة وضع المعاجم اللغوية العامة ، و ترتيب مفرداتها ترتيباً يسهل على المتعلم طريقة الكشف عنها ، فبدأت مع معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي رتب الحروف (الأصوات) بحسب مخارجها إلى مجموعاتٍ تبدأ بالمجموعة الحلقية التي أولها أعمق حروف الحلق و هو العين .

ومن المدارس المهمة في ترتيب الحروف ، مدرسة القافية التي تعتمد على أواخر الكلمات المجردة ، و من هذه المدرسة : لسان العرب لابن منظور و تاج العروس للزبيدي ،

ومن المدارس أيضاً ما يسمى بمدرسة " أساس البلاغة " للزمخشري و تقوم على تجريد المزيد ثم النظر في الحرف الأول .

3-O.Ducrot-T.Todorov:Dictionnaire encyclopédique des sciences de langage: Seuil Paris 1972, p.71.

[2] -J.Rey - Debove: in : Le langage, edition CEPL Paris 1973, p 82.

[3] – د.علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، جامعة الملك سعود – الرياض1411هـ. ص4

و قد اتبعت بعض المعاجم الحديثة الترتيب الأبجدي دون تجريد الكلمة ، ومن هذه المعاجم " المراجع" للعلايلي و المنجد الأبجدي للبستاني . [1]

– أنواع المعاجم :

أ – معاجم المعاني :

سميت كذلك لأن هذه المعاجم لا ترتب فيها الألفاظ أي ترتيب ، بل يدور فيها الحديث حول موضوعات عامة حيث تجمع الألفاظ التي تدور حول معنى واحد أو موضوع واحد و منها "المخصص" لابن سيده و كتاب " الألفاظ " لابن السكين و معجم " فقه اللغة وسر العربية " [*] للثعاليبي . و طريقة استخدامه تكون بتحديد الموضوع ثم الرجوع إلى الفهرس ثم النظر في صفحات الباب .

ب – معاجم التراجم :

و هي ، كما سبق و بينا ، كتب متنوعة تترجم للشعراء و اللغويين و النحويين و الأطباء و الحكماء و الأنساب و القبائل و من المعاجم الجامعة :"معجم الأدباء" لياقوت الحموي ، وقد جمع مؤلفه فيه أخبار النحويين و اللغويين و النسابين و القراء المشهورين و الإخباريين و المؤرخين و الوراقين المعروفين و الكتاب المشهورين و أصحاب الرسائل المدونة ، و أرباب الخطوط ، و الشعراء.

ج – المعاجم الكاشفة :

و نتيجة للتوسع المعرفي ، دعت الحاجة إلى ترتيب المعارف العامة على هيئة معاجم ، و من أمثلة هذه المعاجم :

1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

يهدف هذا المعجم إلى تمكين المحتاج من الوصول إلى أي لفظة من القرآن عن طريق أخذ جذرها و البحث عنها في هذا المعجم الذي يعطيه الآية و رقمها والسورة ورقمها .

---

[1] – د. محمد بن سعيد الثبيتي – الأستاذ المساعد بمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى : معالجة المادة المعجميّة في المعاجم اللفظـــيّة القديمة . ملف إنترنت .

[*] – فقه اللغة وسر العربية :

من أشهر معاجم المعنى ، ألفه منصور الثالبي في أوائل القرن الخامس الهجري . ويمتاز هذا الكتاب بسداد منهجه وحسن تبويبه ، وقد جعله الثعالبي في ثلاثين باباً كبيراً .

كل منها يتناول معنى من المعاني الأساسية ، وكل باب مقسوم بدوره إلى عدد من الفصول الصغيرة . يجمع كلم لها الألفاظ المستعملة في التعبير عن فرع من فروع المعنى الأصيل الذي عقد عليه الباب كله .

ويمتاز كتاب فقة اللغة ، يوجه عنايته إلى إيراد الألفاظ المفردة لا إلى التراكيب المنتقاة ، وبأنه يبذل وسعه في سبيل تحديد مدلولات هذه الألفاظ وبيان ما بينها من فروق . أنظر : – د. محمد بن سعيد الثبيتي – الأستاذ المساعد بمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى : معالجة المادة المعجميّة في المعاجم اللفظـــيّة القديمة . ملف إنترنت .

و منهجه يعتمد على تجريد الكلمة و ردها إلى جذرها الثلاثي ثم ترتيب جميع الكلمات ترتيباً ألفبائياً ، مراعياً الحرف الأول فالثاني فالثالث ، و أول مادة تطالعنا في المعجم المفهرس هي: (أ ب ب) و آخره هي (ي و م) . أما مشتقات الكلمة وتفرعاتها فقد تم البدء بالفعل الماضي المعلوم فالمضارع فالأمر ثم الماضي المجهول فالمضارع ، وبعد ذلك بالمزيد ثم المشتقات .

2) فهرس الأعلام : لخير الدين الزركلي :

و هو يترجم للمشهورين من الناس سواء كانوا مؤلفين أم شعراء أو خلفاء أم أمراء .. منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر ، و هو يرتب الأعلام بحسب أسمائهم ثم أسماء آبائهم مراعياً الحرف الأول ثم الثاني ثم الثالث من الاسم ، دون أن ينظر في الكنى (أب و أم) .

د – المعاجم المتخصصة :

ظهرت أنواع من المعاجم المتخصصة في موضوعات معينة و من أشهرها معجم البلدان لياقوت الحموي الذي استقصى فيه أسماء جميع الأماكن من بلدان و قرى و جبال و أودية و قيعان وبحار .. رتبه على أساس الألفبائي دون أن يجرد الاسم من المزيد لأن جميع ما و رد هو أعلام المسميات و أكثرها أعجمية مرتجلة .

و في العصر الحديث ظهرت أنواع أخرى متخصصة في فن من فنون العلم و من أمثلتها المعجم الأدبي و معجم البلاغة و المعجم الفلسفي و الطبي والهندسي .[1]

معجم العين للفهراهيدي

تعريف بصاحب المعجم :

الخليل ابن أحمد الفراهيدي (100- 175م) أحد عباقرة العرب الأفذاذ الذين عاشوا في القرن الثاني للهجرة . استطاع ، و الحضارة العربية في فجرها ، أن يقدم بفكره الخلاق اكتشافات رائدة في ميادين شتى ، فكان أول من ابتدع فكرة المعجم في لغة العرب ، و أول من حصر أشعار العرب في أوزان عروضية ، كما كان أول من عمد إلى لم أصناف النغم و حصر ألوان الموسيقى في اللحون

منهج الخليل في معجم العين :

انتهج الخليل بن أحمد في العين نظاما خاص و هو :

النظام الصوتيّ أو المدرسة الصوتيّة :

ويقوم النظام الصوتي على ثلاثة أسس يكمل بعضها بعضاً وهي :

ا– الترتيب الصوتي :

رتب الخليل مواده حسب مخارج الأصوات وفق النظام التالي :

ع ح هـــ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و أي.

---

[1] – المرجع السابق .

[1] – د. الدقاق عمر : مصادر التراث العربي : ص : 171 .

فبدأ كتابه بمجموعة **الأصوات الحلقية** وهي ع - ح - هـ - غ ثمّ **اللهوية** وهي ق- ك ثم **الشجرية** وهي ج - ش - ض ثمّ **الأسلية** وهي ص - ز ثمّ **النطعيّة** وهي ط - د - ت ثمّ **اللثوية** وهي ظ - ث - ذ ثم **الذلقيّة** وهي :

ر - ل - ن - ف - ب - م ثم الهوائية وهي و - ا - ي ، وأخيراً الهمزة .

وقد روي عن الخليل - رحمه الله - أنّه بدأ بالعين دون سواها من أصوات الحلق لأسباب تتبيّن من قوله : ((لم أبدأ بالهمزة لأنّها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنّها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنّها مهموسة خفية لا صوت لها ، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف...)) .[1]

ب- نظام الكميّة :

أخضع الخليل بن أحمد - رحمه الله - مادته المعجمية لنظام الكمية فرأى أنّ الكلمات العربية باعتبار أصولها إما أن تكون ثنائيّة أو ثلاثيّة أو رباعيّة أو خماسيّة ؛ إذ يقول : ((كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائيّ والثلاثيّ والرباعيّ والخماسيّ فالثنائيّ على حرفين نحو: قد و لم...والثلاثيّ من الأفعال نحو قولك : ضرب .... ومن الأسماء نحو : عمر......والرباعيّ من الأفعال نحو: دحرج... ...ومن الأسماء نحو : عبقر...والخماسيّ من الأفعال نحو اسحنكك ...ومن الأسماء نحو : سفرجل...وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف)) .

وعلى ضؤ ذلك جاء ت معالجته للكلمات في حرف العين على النحو التالي:

أولاً - الثنائيّ وهو ما اجتمع فيه حرفان صحيحان ولو تكرر أحدهما نحو قَدَّ ، وقَدْقَدَ ، ولو، وبل .

ثانياً- الثلاثيّ الصحيح وهو ما اجتمع فيه ثلاثة أحرف صحيحة على أن تكون من أصول الكلمة .

ثالثاً: الثلاثيّ المعتل وهو ما اجتمع فيه حرفان صحيحان ، وحرف واحد من حروف العلة (مثال أو أجوف أو ناقص)

رابعاً : اللفيف وهو ما اجتمع فيه حرفا علة في أي موضع (مفروق أو مقرون)

خامساً : الرباعيّ وهو ما اشتمل على أربعة أحرف .

سادساً: الخماسيّ وهو ما اشتمل على خمسة أحرف .

سابعاً : المعتل وقد أدخل فيه الهمزة بحجة أنّها قدّ تسهّل إلى أحد حروف العلة.[2]

ج - نظام التقليبات :

وقد قَصَدَ به الخليل - رحمه الله - تَنَقُّلَ الحرفِ الواحدِ في أكثر من موضع في كلّ بناء من الأبنية السابقة ، فجاء الثنائيّ على وجهين، والثلاثيّ على ستة أوجه ، والرباعيّ على أربعة وعشرين وجهاً ، والخماسيّ على مائة وعشرين وجهاً منها المستعملُ ومنها المهلُ فعالج الكلمةَ ومقلوباتها في كلّ بناء من الأبنية السابقة في موضع واحد مراعياً في ذلك الحروف الأصول وسمّى كلّ حرف من الحروف الهجائية كتاباً فبدأ معجمه بكتاب العين ومقلوباتها ،

---

[1] - د. محمد بن سعيد الثبيتي - معالجة المادة المعجميّة في المعاجم اللفظــيّة القديمة . ملف إنترنت

[2] - المرجع السابق .

فكتاب الحاء ومقلوباتها ، وسمّى ما نطقت به العرب مستعملاً وما لم تنطق به مهملاً. فمثلاً نجد الكلمات :(عرب – رعب –عبر–ربع – بعر–برع) تحت باب العين لأنّ العين أسبق من الراء والباء .

ومن المعاجم التي سارت على نظام الخليل بن أحمد – رحمه الله– البارع للقاليّ (ت 356هـ) والتهذيب للأزهريّ (ت 370هـ) والمحيط للصاحب ابن عبّاد(385هـ) و المحكم لابن سيده (ت458هـ) .

والرابطة المشتركة التي تجمع بين هذه المعاجم اتحادها في الترتيب الخارجي للمادة المعجمية على طريقة الخليل بن أحمد – رحمه الله– مع بعض الاختلاف في الترتيب أو الأبنية ، فنجد على سبيل المثال أنّ القالي بدأ معجمه بالهاء ، كما نجد أيضاً أن ابن سيده في (المحكم) زاد في الأبنية السداسي .

وقد أُخِذَ علىهذا النظام صعوبة البحث ، ومشقة الاهتداء إلى اللفظ المراد ؛ بسبب قيامه على المخارج ، والأبنية ، والتقليبات ، وهذا ما لمسه بعض المعجميين القدماء أنفسهم فهذا ابن دريد يقول في مقدمته عن الخليل وكتاب (العين) :

((......قد الّف الخليل بن أحمد كتاب العين فأتعب من تصدّى لغايته وعنى من سما إلى نهايته...)) ثمّ نراه يلتمس العذر للخليل بقوله أيضاً:((...ولكنه رحمه الله ألّف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وَحِدَّةِ أذهانِ عصرِه)) .

ويقول صاحب(لسان العرب) عن هذا النظام أيضاً :

((لم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهريّ ، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده ...غير أن كلاً منهما مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك ...فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما))[1]

نموذج من معجم العين [2]

وواقعنا العدو والاسم الوقيعة والوقاع المواقعة في الحرب ووقع فلان في فلان وقد أظهر الوقيعة فيه إذا عابه والوقيع من مناقع الماء في متون الصخور ووقائع العرب أيامها التي كانت فيها حروبهم والتوقيع في الكتاب إلحاق شيء فيه وتوقعت الأمر أي انتظرته والتوقيع رمي قريب لا تباعده كأنك تريد أن توقعه على شيء وكذلك توقيع الإزكان تقول وقع أي ألق ظنك على كذا والتوقيع سحج بأطراف عظام الدابة من الركوب وربما تحاص عنه الشعر قال الكميت إذا هما ارتدفا نصا قعودهما إلى التي غبها التوقيع والخزل يقال دابة موقعة والتوقيع أثر الرحل على ظهر البعير يقال بعير موقع قال ولم يوقع بركوب حجبه وإذا أصاب الأرض مطر متفرق فذلك توقيع في نباتها والتوقيع إقبال الصيقل على السيف يحدده بميقعته وربما وقع

---

[1] – المرجع السابق .

[2] – الخليل بن أحمد : معجم العين : تحقبق د. مهدي المخزومي و د إبراهيم السمارائي . دار مكتبه الهلال . ط (1995) الجزء الثاني . ص : 177 .

بحجر وحافر وقيع مقطط السنابك والوقيع من السيوف وغيرها ما شحذ بالحجر قال يصف حافر الحمار

يركب قيناه وقيعا ناعلا

معجم لسان العرب

– تعريف صاحب المعجم :

هو محمد بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل ، كان ينسب إلى روفيع بن ثابت الأنصاري . ولد في شهر المحرم سنة 630 ه / الموافق سنة 1232 م . أخذ علوم العربية من ابن المقير ، و مرتضى بن حاتم ، و عبد الرحيم بن الطفيل ، و يوسف بن المخيلي و غيرهم . كان ميالا إلى اختصار كتب الأدب المطولة ، اختصر الأغاني و العقد و الذخيرة و نشوار المحاضرة و مفردات ابن البيطار . قال الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات) :" لا أعرف في الأدب و غيره كتاباً مطولاً إلا و قد اختصره ، و أخبرني ولده قطب الدين أنه ترك بخطه خمسمائة مجلدة ، و يقال إن الكتب التي علَّقها بخطه خمسمائة مجلدة ." توفي ابن منظور في شعبان 1311/711.[1]

و قد طبع من كتبه : لسان العرب ، وأخبار أبي نواس ، ومختار الأغاني وهو مختصر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

معجم لسان العرب :

ألف ابن منظور معجم لسان العرب في أواخر القرن السابع أو مستهل الثامن للهجرة . أتبع فيه الطريقة التي اتبعها الجوهري في معجم الصحاح . يعد معجم لسان العرب أضخم و أوسع من كل المعاجم السابقة عليه ، و من أوسع معاجم الألفاظ

[1] – د . عمر الدقاق : مصادر التراث العربي . ص : 171 .

[1] –ابن منظور : لسان العرب . بيروت . دار الصادر .ط (1) 1997 . المجلد : الأول : ص : 6 .

العربية ، و أضخمها قاطبة وأكثرها إسهاباً و أغزرها مادة . رتب ابن منظور المعجم بحسب أواخر الأصول ، ففيه أبواب بعدد حروف الألف باء ، ثم داخل كل باب عدد من الفصول بحسب الترتيب الألفبائي لأوائل الأصول .

يقع المعجم في عشرين جزءا ً. لذلك اعتبره العلماء موسوعة لغوية و أدبية أكثر ُ من كونه مجرد معجم لغوي ، نظراً إلى وفرة ما يحويه من بحوث لغوية واستطرادات أدبية .

– عمل ابن منظور في اللسان :

لقد جمع ابن منظور مادة المعجم من مصنفات معجمية سبقته فضم بهذا المعجم قدراً وافراً من ألفاظ اللغة و اصطلاحات العلوم على نحو يجعله يتبوأ مرتبة الموسوعات إذ اشتمل على الشواهد الشعرية ، و بعض الأخبار ، و ألوان من النشاط الحضاري العربي .

اعتمد ابن منظور في تأليفه معجم اللسان على مجموعة من المعاجم التي سبقته ، و قد ذكرها في المقدمة ، وهي : الصحاح للجوهري 393 ه ، و تهذيب اللغة للأزهري 370 ه ، والمحكم لابن سيده 458 ه ، و حواشي ابن بري على الصحاح 576 ه ، و النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات بن الأثير 609 ه .[1]

و يذكر ابن منظور في المقدمة أن معجمه جمع ميزتين ليستا لمن سبقه ، وهما :

لاستقصاء في المادة

سلامة العرض والترتيب .

و ضم المعجم كذلك خاصتين :

خاصية الجمع .

خاصية الوضع .

يقول ابن منظور :

" و إني لم أزل مشغوفاً بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها ، وعلل تصاريفها ، و رأيت علماءها بين رجلين : أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه ،

---

[1] – جريدة الاسبوع الادبي العدد 824 تاريخ14/9/2002 . سوريا . دمشق . ملف إنترنت .

و أما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه ، فلم يُفِد حسن الجمع مع إساءة الوضع ، و لا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع . "

ذكر ابن منظور المعاجم التي سبقته ، ثم نقدها مبرزا حسناتها و سيئاتها .

يقول ابن منظور عن معجمي التهذيب للأزهري و المحكم لابن سيده :

" و لم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، و لا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي ، رحمهما الله ، و هما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ، و ما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق . غير أن كلاً منهما مطلب عَسِر المهلك ، و منهل وعرْ المسلك ، و كأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً و جلاهم عنه ، و ارتاد لهم مَرْبعاً و منعهم منه ، قد أخر وقدم ، و قصد أن يعرف فأعجم ، فرق الذهن بين الثنائي و المضاعف و المقلوب ، و بدد الفكر باللفيف و المعتل و الرباعي والخماسي فضاع المطلوب ، فأهمل الناس أمرهما ، و انصرفوا عنهما ، و كادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تخلو منهما . و ليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب ، و تخليط التفصيل و لتبويب ."

أما عن الصحاح فيقول :" ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره، و شهره ، بسهولة وضعه، شهرة أبي دلف بين باديه و محتضره ، فخف على الناس أمره فتناولوه ، و قرب عليهم مأخذه فتداولوه و تناقلوه ، غير أنه في جو اللغة كالذرة ، و في بحرها كالقطرة ، و إن كان في نحرها كالدرة ، و هو مع ذلك قد صحّف و حرّف ، و جزف فيما صرّف . فأتيح له الشيخ أبو محمد بن بري فتتبع ما فيه ، و أملى عليه أماليه ، مخرجا لسقطاته ، مؤرخا لغلطاته . " .[1]

أما معجمه فهو عملية توفيقية بين هذه المعاجم :" فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق ، و قرنت بين ما غرّب منها و بين ما شّرق ، فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع ، و صار هذا بمنزلة الأصل و أولئك بمنزلة الفروع ، فجاء بحمد الله وفق البغية و فوق المنية ، بديع الاتقان ، صحيح الأركان . " .

---

[1] – ابن منظور : لسان العرب . المجلد الأول : ص : 9 .

و يعبر ابن منظور ، و بلغة العالم المتواضع ، عن جهده فيقول : " و أنا مع ذلك لا أدعي فيه دعوى فأقول شافهت أو سمعت ، أو فعلت أو صنعت ، أو شددت أو رحلت ، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت ، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائل مقالا ، و لم يخليا فيه لأحد مجالا ً." .

و يتابع كلامه معبراً عن درجة كبيرة من التواضع : " وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمتُّ بها ، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم ، و بسطت القول فيه و لم أشبع باليسير، و طالب العلم مفهوم . فمن وقف فيه على صواب أو زلل، أو صحة أو خلل ، فعهدته على المصنَّف الأول ، و حمده و ذمه لأصله الذي عليه المعول. لأنني نقلت من كل أصل مضمونه ، و لم أبدل منه شيئا ً، فيقال فإنما إثمه على الذين يبدلونه ، بل أديت الأمانة في نقل الأصول بالنص ، و ما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النص."

و نراه في بعض الأحيان يعقد فصلاً تمهيدياً، قد يطول وقد يقصر، يتحدث فيه عن الحرف الذي يعقد له الباب ، وأنت تطالع شيئاً من هذا منذ اللحظة الأولى في المعجم، حيث صدَّر الباب الأول، باب الألف المهموزة، بحديث طويل عن الهمزة. وهو في هذا الحديث كذلك ينقل عن الأزهري، وأبي العباس أحمد بن يحيى، والزجاج عن سيبويه والخليل بن أحمد، وأبي زيد الأنصاري. فهو يجمع مادة هذا التمهيد من مصادره الأساسية من جانب، ومن أقوال علماء النحو من جانب آخر.

و قد وضع ابن منظور بين يدي المعجم فصلين تمهيديين جاءا تاليين لمقدمته، تناول في الأول منهما تفسير الحروف المقطعة، التي وردت في أوائل بعض سور القرآن الكريم. و كان الأزهري قد عقد مثل هذا الفصل في نهاية معجمه " تهذيب اللغة "، فآثر ابن منظور أن يُصدِّر به معجمه تبركاً وتقريبا بين يدي المُطالِع .[1]

يقول ابن منظور في مستهل باب تفسير الحروف المقطعة :

---

[1] – المصدر السابق : ص : 10 .

[1] – جريدة الاسبوع الادبي العدد 824 تاريخ14/9/2002 . ملف إنترنت

" روى ابن عباس رضي الله عنهما في الحروف المنقطعة ، مثل ألم ألمص ألمر و غيرها ، ثلاثة أقوال : أحدهما أن قول الله عز و جل ألم : أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب ، الذي أنزل على محمد – صلى الله عليه و سلم – هو الكتاب الذي من عند الله عز و جل لا شك فيه ، قال هذا في قوله تعالى : ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، و القول الثاني عنه : إن الرحم إن اسم الرحمن مقطع في اللفظ ، موصول في المعنى ، و القول الثالث عنه أنه قال : ألم ذلك الكتاب ، قال : ألم معناه أنا الله أعلم و أرى . " [2]

أما الفصل الثاني فقد تناول فيه ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها. ومادة الفصل الأول كلها، ومادة الجزء الأول من الفصل الثاني مجموعة من أقوال علماء اللغة والنحو، أما الجزء الأخير فقد تطرق فيه إلى الدلالات والاستخدامات السحرية للحروف، فكان اعتماده هنا على أبي الحسن الحرالي وأبي العباس أحمد البوني والبعلبكي وغيرهم ممن صنفوا الكتب في السحر .

ينتقل أبن منظور ، بعد الفصلين المذكورين ، إلى المادة اللغوية التي بلغت أكثر من 80 ألف مادة ، عرضها في أبواب مرتبة بحسب الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية ، مع مراعاة الترتيب الألفبائي ، فإذا أردت البحث عن كلمة أخذ عليك بباب الذال من فصل الهمزة . [3]

يقول ابن منظور في الباب :

" ذكر ابن كيسان في ألقاب الحروف : أن منها المجهور و المهموس ، و معنى المجهور منها أنه لزم موضعه إلى انقضاء حروفه ، و حبس النفس أن يجري معه ، فصار مجهورا لأنه لم يخالطه شيء يغيره ، و هو تسعة عشر حرفا : الألف و العين و الغين و القاف و الجيم و الباء و الضاد و اللام و النون و الراء و الطاء و الدال و الزاي و الظاء و الذال و الميم و الواو و الهمزة و الياء ، و معنى المهموس منها أنه حرف لأن مخرجه دون المجهور

---

[2] – المصدر السابق : ص : 12 .

[3] – د. صالح بلعيد : مصادر اللغة : الجزائر . ديوان المطبوعات الجامعية . ط (1994) . ص : 88,

، و جرى معه النفس ، و كان دون المجهور في رفع الصوت ، و هو عشره أحرف : الهاء و الحاء و الخاء و الكاف و الشين و السين و التاء و الصاد و الثاء و الفاء ، و قد يكون مجهور شديدا ، و قد يكون رخوا ، و المهموس كذلك . " .[1]

- **خصائص معجم اللسان :**

1 - حذَف كثيراً من الأسانيد تخفيفاً من التطويل الزائد.

2- خزانة للغة فهو معجم لغة ونحو وصرف وفقه وأدب وشرح للحديث الشريف وتفسير للقرآن الكريم.

3- يرجع تفوقه إلى أنه جمع من مصادره الخمسة ما انفرد به كلٌّ منها من مواد.

4- أخذ من كل مرجع أفضل ما فيه.

5- يمتاز بغزارة مادته واستيعابه لمعظم مفردات اللغة العربية.

6- يمتاز بكثرة التفصيل وإيراد الوجوه واللغات والروايات المختلفة.

7- يمتاز بذكر المصادر التي يستمد منها.

8- الإكثار من إيراد الشواهد الشعرية والنثرية التي يحتج بها.

و على الرغم من خصائص معجم لسان العرب ، فإن ابن منظور لم يأتِ بجديد في التأليف المعجمي وكان في منهجه متبعاً لا مبتدعاً. يعفي نفسه من كل مسؤولية علمية في هذا المعجم سوى صحة النقل عن المصادر.

فيه ثمانون ألف مادة أي ضعف ما في معجم الصحاح للجوهري، وأكثر بعشرين ألف مادة من المعجم الذي جاء بعده، وهو معجم القاموس المحيط للفيروز آبادي. .

- **فوائد لسان العرب :**

- لسان العرب أحد أهم المعاجم العربية قاطبة، وأكثرها جمعاً لألفاظ اللغة، وأوفاها شرحاً لمختلف المعاني التي تعبر عنها هذه الألفاظ، لأن صاحبه عني بتفسير المفردات على أفصح اللغات، وأورد الوجوه واللغات والروايات المختلفة حولها، وأكثر من المترادفات

---

[1] - ابن منظور : لسان العرب : المجلد الأول . ص : 15

والنوادر والشواهد من القرآن والحديث وغيرهما، ولعل السبب في ذلك يعود إلى شغفه بتدوين ما عثر عليه من كتب الأقدمين.

- أغنى المعاجم بالشواهد، فقد أضاف إلى شروح المواد اللغوية كما وردت في الكتب الخمسة أشياء كثيرة من شروح و شواهد قرآنية و نبوية و شعرية و من مأثور كلام العرب وحوادثهم .

- يمتاز بالمادة الشعرية الغزيرة التي أضافها إلى معجمه، فعدد الشعراء المستشهد بهم ألف ومائتا شاعر تراوحت أشعارهم ما بين البيت الواحد والألف تقريباً.

- مرجع جيد الضبط وشاف للغليل يسعف الباحث المتعمق والدارس المتخصص ببغيته.

- يعرض الروايات المتعارضة ويرجح أقوالها.

- موسوعة لغوية وأدبية لغزارة مادته العلمية، واستقصائه واستيعابه لجل مفردات اللغة العربية.

- لا يفوته أن يذكر ما اشتق من اللفظ من أسماء الأشخاص والقبائل والأماكن وغيرها.

يقول ابن منظور عن فوائد معجمه:

" فجاء هذا الكتاب بحمد الله واضح المنهج سهل السلوك ، آمناً بمنة الله من أن يصبح مثل غيره وهو مطروح متروك . عظم نفعه بما اشتمل من العلوم عليه، وغني بما فيه عن غيره وافتقر غيره إليه ، و جمع من اللغات و الشواهد و الأدلة ، ما لم يجْمَعْ مثلُه مثلَه ."

يتابع ابن منظور ، فيقول :

"وقرنت بين ما غرّب منها وبين ما شرّق، فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع ، وصار بمنزلة الأصل وأولئك بمنزلة الفروع، فجاء بحمد الله وفق البغية وفوق المنية، بديع الإتقان، صحيح الأركان، سليماً من لفظة لو كان." [1]

قال المرتضى الزُّبيدي في مقدمة كتابه (تاج العروس):

---

[1] - المصدر السابق : ص : 10 .

"إن اللسان يشتمل على ثمانين ألف مادة، وتحت كل مادة كثير من المشتقات، وهذه المشتقات من الصعب تعدادها في اللغة العربية لكثرتها."

ويقول المستشرق الانكليزي (جون هيوود):

"كان لدى العرب معجم شامل، هو (لسان العرب) فاق كل ما ألف من معاجم في أي لغة قبل القرن التاسع عشر دقة وشمولاً."

وأخيراً يقول أحمد فارس الشدياق:

"فدونك كتاباً علا بقدمه على هام السها، وغازل أفئدة البلغاء مغازلة نُدمان الصفاء عيون المها."[1]

نموذج من لسان العرب :[2]

أدب : الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة و مأدبة ابن بزرج لقد أدبت أدبا حسنا وأنت أديب وقال أبو زيد أدب الرجل يأدب أدبا فهو أديب وأرب يأرب أرابة وأربا في العقل فهو أريب غيره الأدب أدب النفس والدرس و الأدب الظرف وحسن التناول و أدب بالضم فهو أديب من قوم أدباء و أدبه فتأدب علمه واستعمله الزجاج في ا عز وجل فقال وهذا ما أدب تعالى به نبيه وفلان قد استأدب بمعنى تأدب ويقال للبعير إذا ريض وذلل أديب مؤدب وقال مزاحم العقيلي وهن يصرفن النوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المذلل و الأدبة و المأدبة و المأدبة كل طعام صنع لدعوة أو عرس قال صخر الغي يصف عقابا كأن قلوب الطير في قعر عشها نوى القسب ملقي عند بعض المآدب القسب تمر يابس صلب النوى شبه قلوب الطير في وكر العقاب بنوى القسب كما شبهه امرؤ القيس بالعناب في قوله كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي والمشهور في المأدبة ضم الدال وأجاز بعضهم الفتح وقال هي بالفتح مفعلة من

---

[1] – جريدة الاسبوع الادبي العدد 824 تاريخ14/9/2002 . ملف إنترنت

[2] – لسان العرب : الجزء الأول : ص : 206 ، 207 .

الأدب قال سيبويه قالوا المأدبة كما قالوا المدعاة وقيل المأدبة من الأدب وفي الحديث عن ابن مسعود إن هذا القرآن مأدبة الله في الأرض فتعلموا من مأدبته يعني مدعاته قال أبو عبيد يقال مأدبة التعليق بالا يبايفب و مأدبة فمن قال مأدبة أراد به الصنيع يصنعه الرجل فيدعو إليه الناس يقال منه أدبت على القوم آدب أدبا ورجل آدب قال أبو عبيد وتأويل الحديث أنه شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم إليه ومن قال مأدبة جعله مفعلة من الأدب وكان الأحمر يجعلهما لغتين مأدبة و مأدبة بمعنى واحد قال أبو عبيد و لم أسمع أحدا يقول هذا غيره قال والتفسير الأول أعجب إلي وقال أبو زيد آدبت أودب إيدابا و أدبت آدب أدبا و المأدبة الطعام فرق بينها وبين المأدبة الأدب و الأدب مصدر قولك أدب القوم يأدبهم بالكسر أدبا إذا دعاهم إلى طعامه و الآدب الداعي إلى الطعام قال طرفة نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر و قال عدي زجل وبله يجاوبه دف لخون مأدوبة وزمير و المأدوبة التي قد صنع لها الصنيع وفي حديث علي كرم الله وجهه أما إخواننا بنو أمية فقادة أدبة الأدبة جمع آدب مثل كتبة وكاتب وهو الذي يدعو الناس إلى المأدبة وهي الطعام الذي يصنعه الرجل ويدعو إليه الناس وفي حديث كعب رضي الله عنه إن ن مأدبة من لحوم الروم بمروج عكاء أراد أنهم يقتلون بها فتنتابهم السباع والطير تأكل من لحومهم و آدب القوم إلى طعامه يؤدبهم إيدابا و أدب عمل مأدبة أبو عمرو يقال جاش أدب البحر وهو كثرة مائه وأنشد عن ثبج البحر يجيش أدبه و الأدب العجب قال منظور بن حبة أسدي وحبة أمه بشمجى المشي عجول الوثب علابة للناجيات الغلب حتى أتى أزبيها بالأدب الأزبي السرعة والنشاط والشمجى الناقة السريعة ورأيت في حاشية في بعض نسخ الصحاح المعروف الإدب بكسر الهمزة ووجد كذلك بخط أبي زكريا في نسخته قال وكذلك أورده ابن فارس في المجمل الأصمعي جاء فلان بأمر أدب مجزوم الدال أي بأمر عجيب وأنشد ذو الرمة سمعت من صلاصل الأشكال أدبا على لباتها الحوالي أذرب أذرب ابن الأثير في حديث أبي بكر رضي الله عنه لتألمن النوم على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان الأذربي منسوب إلى أذربيجان على غير قياس هكذا تقول العرب والقياس أن يقال أذري بغير باء كما يقال في النسب إلى رامهرمز رامي قال وهو مطرد في النسب إلى الأسماء المركبة .

قاموس المحيط للفيروز أبادي

تعريف صاحب المعجم :

هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي مجد الدين أبو طاهر الفيروز أبادي علم من أعلام القرن الثامن الهجري . ولد بقرية كارزين بفارس عام 729 ه . أخذ العلم من

علماء مدينة شيراز ، ثم من علماء العراق و مصر و الشام . رحل إلى الروم و بلاد الهند . عينه سلطان اليمن إسماعيل عام 796ه على قضاء اليمن . توفي عام 817ه .[1]

– قاموس المحيط :

استهل مجد الدين معجم قاموس المحيط بالحمد لله و الصلاة على نبيه ، ثم ذكر سبب تأليفه المعجم ، يقول عن أهمية اللغة في فهم نصوص القرآن و السنة :

(هذا و إني قد نبغت في هذا الفن قديما و صبغت به أديما ، و لم أزل في خدمته مستديما ، و كنت برهة من الدهر ألتمس كتابا جامعا بسيطا و مصنفا على الفصيح و الشوارد محيطا ، و لما أعياني الطلاب ، شرعت في كتابي الموسوم باللامع المعلم العجاب ، الجامع بين المحكم و العباب ، فهما غرتا الكتب المصنفة في هذا الباب ، و نيرا براقع الفضل الآداب ، و ضممت إليها الوطاب ، و اعتلى منها الخطاب ، ففاق كل مؤلف في الفن هذا الكتاب .)[2]

سمى الفيروز أبادي قاموسه باسم المحيط – أي البحر العظيم – لأنه جمع ما لم يجمعه غيره من المعاجم ، بالأضافة جمعه حسن الاختصار . لقد ضم القاموس مادة لغوية جمعها الفيروز أبادي من عدة قواميس سبقت قاموسه .

اعتمد الفيروز أبادي في تصنيف المعجم على معجمين أساسين ، و هما :

معجم العباب للصغاني (577ه– 650 ه) ، و قد اتبع هذا المعجم في الترتيب نهج معجم العين للخليل الفراهيدي ، إذ رتبه بحسب المخارج .

معجم ابن سيدة المحكم (398 ه– 458 ه) ، و انتهج نهجا مغايرا للمعجم الأول ، إذ اتبع الترتيب الهجائي في عرض مادته .

أراد الفيروز أبادي ، فيما يبدو من مقدمته ، أن يؤلف معجما جامعا منعا للغة العرب ، يستطيع أهل العلم الاستفادة منه بيسر و سهولة . يقول :

(و ألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، معربا عن الفصيح و الشوارد ، و جعلت بتوفيق الله تعالى زفرا في زفر ، و لخصت كل ثلاثين سفرا في سفر ، و ضممته خلاصة ما في العباب و المحكم ، و أضفت إليه زيادات .)

أشار الفيروز أبادي إلى المعاجم المشهورة في زمانه ، فذكر معجم الصحاح ، و نقده . يقول :

(و لما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهري و هو جدير بذلك ، غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثرها بإمهال المادة ، أو ترك المعاني الغريبة النادرة ، أردت أن يظهر للناظر بادي بدء فضل كتابي هذا عليه ، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه .)

---

[1] – د . عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية . ص 387.

[2] – الفيروزأبادي : القاموس المحيط . المجلد : الأول . بيروت . دار الفكر . ط(1983) ص : 3 .

[1] – الفيروزأبادي : القاموس المحيط . المجلد : الأول :388 .

[2] – الفيروزأبادي : القاموس المحيط . المجلد : الأول . ص : 3 .

اشتمل قاموس المحيط على 60 ألف مادة لغوية . لذلك فهو يفوق صحاح الجوهري ب : 20 ألف مادة ، و ينقص بالعدد نفسه عن لسان العرب لأبن منظور .

اتبع الفيروز أبادي ، في تبويب قاموس المحيط ، نظام القافية : الباب ثم الفصل . احتوى القاموس على 28 بابا ، و كل باب ضم 28 فصلا ، لكن بعض الفصول قد أسقطت من بعض الأبواب لعدم توفر المادة .

و قاموس المحيط ، على الرغم من نقد صاحبه للجوهري ، متأثر إلى حد كبير بالصحاح . فهو ينتهج نهج الصحاح في ترتيبه الألفبائي ، و يلتزم بالحرف الأخير من اللفظ في تصنيف مواده .[1]

– خصائص قاموس المحيط :

يمتاز قاموس المحيط بجملة من الخصائص ، نلخصها فيما يلي :

1– كثافة مادته : يظم مواد لغوية غزيرة ، تفوق ، مثلما ذكرنا ، مادة صحاح الجوهري ، و لا تقل أيضا على مواد لسان العرب ، غير أنه ، بخلاف اللسان ، جنح إلى الاختصار و ذلك ما تجلى في عدد أجزاءه و التي بلغت أربعة أجزاء .[2]

2– اعتمد على رموز و اصطلاحات خاصة اصطنعها ، ثم حددها بقوله :

و ما فيه من رمز فخمسة أحرف فيم لمعروف و عين لموضـــع

و جيم لجمع ثم ها لقريـــــــــــــــة و البلد الدال التي أهملت فع

و زاد على ذلك بعضهم :

و في آخر الأبواب واو و ياؤهـــا إشارة زاوي و ياؤها اسمـــــــع [3]

معنى ذلك أن الرمز (م) يعني معروف ، و (ع) موضع ، و (ج) جمع ، و (جج) جمع الجمع ، و (د) بلد .

3– ضبط الكلمات و تقيدها بالعبارة أو بالتمثيل الشائع و ذلك بصورة مطردة ، و إغفال هذا الضبط في المشهور و في الفصيح ، و كذلك في عين المضارع المفتوحة ، و اكتفاء بضبط اللفظ في حالتي الضم و الكسر . كذلك تقديم الفصيح و المشهور على النادر و الغريب ، و تأخير أسماء الأعلام .

4– إسقاط أسماء اللغويين و الرواة الذين أخذت منهم الصيغ و المعاني ، و هذه خطوة منطقية بعدما أصبحت أسماؤهم و رواياتهم معروفة .

---

[1] – د . عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية : ص : 390 .

[1] – بلعيد صالح : مصادر اللغة : 91

[2] – د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي : ص : 205 .

[3] – الفيروز أبادي : قاموس المحيط : المجلد : الأول : فصل فوائد شريفة و قواعد لطيفة في معرفة اصطلاحات القاموس . ص : 8

يحتاج قاموس المحيط من مستعمله الأناة و المران ، و يتطلب كذلك معرفة ببعض أسس اللغة في قواعد النحو و الصرف ، إلى جانب معرفة رموزه .[1]

طبعات قاموس المحيط :

طبع قاموس المحيط لأول مرة عام 1289 ه / 1873 م . و قد لقي عناية المستشرقين فترجم إلى اللغة اللاتينية في إيطاليا عام 1633م .[2]

نموذج من قاموس المحيط[3]

أدب : كحسن أدبا فهو أديب ج أدباء وأدبه علمه فتأدب واستأدب والأدبة بالضم والمأدبة والمأدبة طعام صنع لدعوة أو عرس وآدب البلاد ا يدابا ملأها عدلا والأدب بالفتح العجب كالأدبة بالضم ومصدر أدبه يأدبه دعاه إلى طعامه كآدبه ا يدابا وأدب يأدب أدبا محركة عمل مأدبة وأدبة وأدب البحر كثرة مائه وأدبي كعربي جبل الارب بالكسر الدهاء كالاربة ويضم والنكر والخبث والغائلة والعضو والعقل والدين والفرج والحاجة كالا ربة بالكسر والضم والأرب محركة والمأربة مثلثة الراء وأرب ا ربا كصغر صغرا وأرابة ككرامة عقل فهو أريب وأرب وكفرح درب واحتاج و الدهر اشتد و به كلف و معدته فسدت و الرجل تساقطت أعضاؤه وقطع ا ربه وأربت من يديك سقطت آرابك من اليدين خاصة و يده قطعت أو افتقر فاحتاج إلى ما بأيدي الناس والأربة بالضم العقدة أو التي لا تنحل حتى تحل والقلادة وحلقة الأخية وبالكسر الحيلة والأربية بالضم أصل الفخذ والأرب بالفتح ما بين السبابة والوسطى وبالضم صغار البهم ساعة تولد والا ربيان بالكسر سمك وبقلة وأراب مثلثة ع أو ماء ومأرب كمنزل ع باليمن مملحة وآرب عليهم إيرابا فاز وفلج وأرب العقد كضرب أحكمه و فلانا ضربه على ا رب له والأربى بفتح الراء الداهية والتأريب الا حكام والتحديد والتوفير والتكميل وكل موفر مؤرب وتأرب تأبى وتشدد وتكلف الدهاء

---

[1] – د . الدقاق عمر : مصادر التراث العربي : ص : 205 ، 206 .

[2] – المرجع السابق : الهامش رقم : 2 . ص : 207 .

[3] – الفيروز أبادي : قاموس المحيط : المجلد : الأول

والمستأرب المديون والمؤارب المداهي والأربان في ع ر ب وقدر أربية واسعة أزبت الا بل كفرح لم تجتر
والا زب بالكسر القصير والغليظ والداهية واللئيم والدميم والدقيق المفاصل الضاوي لا تزيد عظامه وإنما
زيادته في بطنه وسفلته وأزب العقبة في ز ب ب ووهم من ذكره هنا والأزب ككتف الطويل كالأزيب
والأزبة الشدة والقحط وإزاب بالكسر ماء لبني العنبر وأزب الماء كضرب جرى ومنه المئزاب أو هو
فارسي معرب أي بل الماء وا بل آزبة ضامزة وتأزبوا المال بينهم اقتسموه الا سب بالكسر شعر الركب
أو الفرج أو الاست وكبش مؤسب كمعظم كثير الصوف وآسبت الأرض أعشبت أشبه يأشبه خلطه و
فلانا عابه ولامه يأشبه ويأشبه وأشب الشجر كفرح التف كتأشب وأشبته تأشيبا والأشابة بالضم الأخلاط
و من الكسب ما خالطه الحرام ج الأشائب والأشباني محركة الأحمر جدا والتأشيب التحريش وتأشبوا
اختلطوا أو اجتمعوا كائتشبوا فيهما و إليه انضموا وهو مؤتشب بالفتح أي غير صريح في نسبه وأشبة
بالضم اسم الذئب وفي حديث ابن أم مكتوم بيني وبينك أشب محركة يريد النخيل الملتفة ألب القوم إليه أتوه
من كل جانب و الا بل يألبها ويألبها ساقها و الا بل انساقت وانضم بعضها إلى بعض و الحمار طريدته
طردها شديدا كألبها وجمع واجتمع وأسرع وعاد و السماء دام مطرها والتألب كثعلب الغليظ المجتمع منا
ومن حمر الوحش والوعل وهي بهاء وشجر والا لب بالكسر الفتر وشجرة كالأترج سم وبالفتح نشاط
الساقي وميل النفس إلى الهوى والعطش والتدبير على العدو من حيث لا يعلم ومسك السخلة والسم والطرد
الشديد وشدة الحمى والحر وابتداء برء الدمل وريح ألوب باردة تسفي التراب ورجل ألوب سريع ا خراج
الدلو أو نشيط وهم عليه ألب وا لب واحد مجتمعون عليه بالظلم والعداوة والألبة بالضم المجاعة وبالتحريك
اليلبة والتأليب التحريض والا فساد والمئلب السريع وألبان د وألاب كسحاب ع قرب المدينة أنبه تأنيبا
لامه أو بكته أو سأله فنجهه والأنب محركة الباذنجان والأناب كسحاب المسك أو عطر يضاهيه وهو
مؤتنب لا يشتهي الطعام الأوب والا ياب ويشدد والأوبة والأيبة والا يبة والتأويب والتأييب والتأوب
الرجوع والأوب السحاب والريح والسرعة ورجع القوائم في السير والقصد والعادة والاستقامة والنحل
والطريق والجهة وورود الماء ليلا وجمع آيب كالأواب والأياب وآبه الله أبعده وآبك وآب لك مثل ويلك
وآبت الشمس ا يابا وأيوبا غابت وتأوبه وتأيبه أتاه ليلا والمصدر المتأوب والمتأيب وائتببت الماء وردته ليلا
وأوب كفرح غضب وأوأبته والتأويب السير جميع النهار أو تباري الركاب في السير كالمآوبة وريح مؤوبة
تهب النهار كله والآيبة شربة القائلة وآبة د قرب ساوة ود با فريقية ومآب د بالبلقاء والمأوب المدور
والمقور المململم ومنه أنا حجيرها المؤوب وعذيقها المرجب وآب شهر معرب والمآب المرجع والمنقلب وبينهما
ثلاث مآوب ثلاث رحلات بالنهار والأوبات القوائم واحدتها أوبة ومخيس الأوابي تابعي نسبة إلى بني أواب
قبيلة .

أمهات المصادر الأدبية و اللغوية .

أمهات المصادر الأدبية :

كان مفهوم الأدب عند العرب القدماء واسع الدلالة ، لا يشمل عدة عناصر تعبيرية كالشعر و النثر و فنونهما فحسب ، و إنما تعداهما إلى التاريخ و الجغرافيا و الاجتماع . لذلك اقترب المفهوم من مفهوم الثقافة .[1]

الواقع أن حركة التأليف قد تأثرت ، و بقدر بالغ الحيوية ، بذلك المفهوم ، إذ نسجل قي المصنفات العديدة المبدأ القاضي بالأخذ من كل شي بطرف ، مما جعل الكثير من المصنفات

[1] – د . عمر الدقاق : مصادر التراث العربي . ص :83.

الأدبية و اللغوية القديمة تتميز بجملة من الخصائص ، نلخصها فيما يلي :

الاستطراد المستمر إذ نجد المؤلف لا يتقيد عادة بفن واحد ، و إنما ينتقل من فن إلى فن آخر ، و من موضوع إلى موضوع ، غير ملتزم بخطة ، بل يسير بحسب تداعي الأفكار و الموضوعات .

الافتقار إلى الاختصاص ، و هي صفة ناجمة عن الصفة الأولى ، إذ عادة لا يستطيع الدارس تصنيف الكتب القديمة ضمن حقول معينة ، بل هي جامعة لحقول عديدة . يستفيد منها القارئ استفادات متعددة لآ تتعلق بجانب واحد فحسب .

و لكن إلى جانب هذه الكتب ذات الطابع الموسوعي ، فقد برزت مصنفات أخرى ذات منهج محدد و واضح ، و من أمثلتها ، كما سبق و أن أوضحنا ، كتب التراجم المختلفة ، أو كتب المختارات الشعرية .

و لعل أشهر المصادر الأدبية القديمة ذات الطابع الموسوعي كتاب البيان و التبيين ، و الحيوان للجاحظ ، و كتاب الكامل للمبرد ، و كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ، و العقد الفريد لابن عبد ربه ، و الأمالي للفالي .[1]

---

[1] – د عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي : ص : 140 ، 141 .

كتاب البيان و التبيين للجاحظ

تعريف المؤلف :

هو عمرو بن بحر الجاحظ كاتب وُلد ومات بالبصرة جمادى أولى رجب رجب – شعبان جمادى ثاني شعبان م ينتسب لأسرة فقيرة، يوجد ظن أن عائلها من أصل أفريقـي مات أبوه وهو صغير، فاضطر لاحتراف بيع الخبز والسمك إلى جانب مواصلته التعليم في الكتّاب والمسجد والحلقات، والاطلاع على كل ما تقع عليه يداه. قصد بغداد فتهادته وطلبته قصور الخلفاء والوزراء والكبار. ولاه الخليفة المأمون (ابن الرشيد) شعبان رمضان محرم – شعبان محرم صفر هـ ديوان الرسائل فلم يستطع البقاء تحت قيود الوظيفة. زار دمشق وانطاكية وربما مصر و في آخر حياته أصيب بفالج نصفي (شلل) فعاد إلى البصـرة اتصل بعلماء

الكلام (علم الكلام) في اللغة هو المنتظم من الحروف المتميزة و يطلق على العلم الذي يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية الإسلامية بايراد الحجج ودفع الشبه، وموضوعه هو ذات الله، صفاته، أفعاله في الدنيا كحدوث العالم، و في الآخرة كالحشر، وأحكامه فيهما ، كبعث الرسل والثواب والعقاب انضم الجاحظ إلى المعتزلة، وأجاد مناهجهم (المعتزلة) هي فرقة كلامية إسلامية، ظهرت في أخريات القرن الأول الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل ابن عطاء مجلس الحسن البصري ولقول واصل بأن مرتكب الكبيرة ليس كافراً ولا مؤمناً، بل هو في منزلة بين المنزلتين. ولما اعتزل واصل مجلس الحسن وجلس عمرو بن عبيد إلى واصل، وتبعهما أنصارهم، قيل لهم: معتزلون أو معتزلة، امتازت الفرقة بحرية الفكر، والاعتداد بالعقل، وقوة الحجة. ولهذه الفرقة مدرستان رئيسيتان إحداهما بالبصرة ومن أشهر رجالها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وأبو الهزيل و إبراهيم النظام والجاحظ (صاحبنا) والأخرى ببغداد وأشهر رجالها بشر بن المعتمر وأبو موسى المرداد و تمامة بن الأشرس، رفضوا الوظائف الإدارية ليتفرغوا للبحث والمناظرة ثم انغمسوا في السياسة، وللمعتزلة أصول منها العدل والتوحيد، ولذلك شهروا بأنهم أهل العدل والتوحيد. أجاد الجاحظ مناهجهم ، أحاط بمعارف عصره من عربية لغة وأدب وأخبار أجنبية وهندية وفارسية

ويونانية.؟ لم يترك الجاحظ موضوعاً اجتماعياً أو ثقافياً أو أدبياً إلا كتب فيه، ألّف أكثر من ﷺ كتاباً صور فيها جميع مظاهر النشاط في المجتمع الإسلامي ووسع نطاق الكتابة الفنية وطوع اللغة المنثورة حتى تناول بها بعض الموضوعات التي كانت مقصورة على الشعر كالرثاء والهجاء، أو على العلوم . بلغ الجاحظ مكانة لم تنتقص منها الأيام يكشف في كتاباته اتساعاً في الرواية وقدرة على التمييز وبراعة في الوصف، ودقة في التصوير الحسي والنفسي، وميلاً للفكاهة. كان يصوّر الواقع دون تستر أو تجميل، اعتمد في العرض على الجدل المنطقي فاختار ألفاظاً دقيقة واضحة الأداء، بعد في ألفاظه عن الخشونة والغرابة واختارها حلوة الجرس، وفّر لعبارته تنغيماً ملموساً اعتمد فيه على الازدواج والموازنة بين الجمل، عن طريق الترادف في اللفظ والعبارة، وان جعلها تبدو مرسلة ببساطة وسماحة .

دوافع التأليف :

أجمع الباحثون أن الجاحظ قد ألف كتاب البيان و التبيين في أواخر حياته ، بعد أن أصابه داء الفالج ، لكنه ، و على

[1] – – حقوق الطبع و النشر محفوظة لشركة سيريا أونلاين

الرغم من ذلك ، حافظ ، كما يظهر من الكتاب ، على فكره المتوقد ، و على نقده الساخر النافذ .

يعود الدافع إلى تأليف كتاب البيان و التبيين إلى أحد الأمرين ، أو إلى كليهما معا:

الأمر الأول : إن الجاحظ لم يخص البيان العربي ببحث شامل يكشف به عن طاقات التعبيرية للغة العربية للاستفادة منها في الجدل و المناظرات و الخطب . لذلك أقبل الجاحظ ، نظرا لأنه أديب المعتزلة الأول ، على تدارك ذلك النقص فألف كتاب البيان و التبيين .

الأمر الثاني : الرد على الشعوبيين الذين عابوا على الخطباء العرب تمسكهم بعادات شكلية كمسك العصا ، و عدم اهتمامهم بأساليب الأقماع يقول الجاحظ في كتاب العصا من كتاب البيان و التبيين : (و نبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبيين و من يتحلى باسم التسوية و بمطاعتهم على خطباء العرب : بأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام و مساجلة الخصوم بالوزن و المقفى ، و المنثور الذي لم يقف ، و بالارجاز عند المتح ، و عند مجاثاة الخصم ...و ترك اللفظ يجري على سجيته و على سلامته ، حتى يخرج على غير صنعة و لا اجتلاب تأليف ، و لا التماس

قافية ، و لا تكلف . زن مع الذي عابوا من الإشارة بالعصي ، و الاتكاء على أطراف القسي ..)[1]

و مهما يكن ، الدافع الأصلي لتأليف ، فإن موضوعات الكتاب كثيرا ما كانت تتولد عن طريق الاستطراد ، و أن الجاحظ لا بد أنه قد خطط لتأليفه ، و إن طابعه الموسوعي لا يخفي على القارئ الباحث أن الجاحظ قد قصد تناول موضوعا رئيسيا واحد ، و هو البيان العربي .

محتويات الكتاب :

البيان و التبيين كتاب في الأدب . لا يعرض الجاحظ فيه مجرد مختارات من فنون القول ، و لا يقدم آراء الكاتب في مختلف قضايا الأدب و النقد . إنه كتاب يتناول موضوعا رئيسيا و هو : استخراج أصول البيان العربي كما تحدث عنها السابقون ، و كما مارسها علماء الكلام ، و منهم الجاحظ.[2]

بدأ الجاحظ الكتاب بالتعوذ من العي : (اللهم نعوذ بك من فتنة العمل ، و نعوذ من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ من العجب بما نحسن ، و نعوذ بك من السلامة و الهذر ، كما

---

[1] – الجاحظ ، أبو عثمان . البيان و التبيين : الجزء الثالث . بيروت . دار احياء التراث العربي . ص : 35 .

[2] – د عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي : ص : 142 .

نعوذ بك من العي و الخضر . و قديما ما تعوذوا بالله من شرهما و تضرعوا إلى الله في السلامة منهما .)[1]

انتقل الجاحظ بعد ذلك إلى الحديث عن نعمة فصاحة اللسان فاستشهد بقصة موسى حين سأل الله أن يحلل العقدة التي كانت بلسانه ، ثم انتقل و تحدث عن منزلة فضل الله في تعليم الإنسان البيان ، يقول : (و ذكر الله تبارك و تعالى جميل بلائه في تعليم البيان ، و عظيم نعمته في تقويم اللسان فقال : { الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان علمه البيان } ، و قال تعالى : { هذا بيان للناس } ، و مدح القرآن بالبيان و الإفصاح ، و بحسن التفصيل و الإيضاح ، و بجودة الإفهام و حكمة الإبلاغ ، و سماه فرقانا كما سما قرآنا . و قال : { عربي مبين } ، و قال : { و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء } ، و قال : { و كل شيء فصلناه تفصيلا . } .)[2]

تحدث الجاحظ عن اختلاف لغة العرب في استعمال الألفاظ ، يقول في هذا الصدد : (و أهل الأمصار إنما يتكلمون

---

[1] – الجاحظ : البيان و التبيين /1 : ص : 5

[2] – المصدر السابق : ص : 9 .

على لغة النازلة فيهم من العرب ، لذلك نجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة و البصرة و الشام و مصر .) .[1]

تكلم الجاحظ عن عيوب اللسان ، ثم واصل الحديث عن البلاغة في الشعر ، و في الكلام المسجوع مستشهدا بأمثلة من الحديث و الخطب و الحكم . لقد دافع الجاحظ ، أثناء ذلك ، عن فصاحة العرب و خطبائهم ، و ردّ على اتهامات الشعوبيين ، كما تكلم عن الزهاد و النساك ، و عن مواعظهم ، وقد ضمن مؤلفه بكثير من نوادر الحمقى و المجانين .

و لهذا كان محور الكتاب هو موضوع الفصاحة و البلاغة ، إذ ظهرت عنايته الكبيرة بالألفاظ من حيث فصاحتها و مخارج حروفها ، و من حيث العيوب التي تلحق بها كاللكنة . كما بحث ، إلى جانب ذلك ، في الأفكار و وسائل التعبير عنها ، و اشترط ضرورة التناسب بين الألفاظ و المعاني . يقول في باب البيان :

(قال بعض جهابذة الألفاظ و نقاد المعاني : المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم ، و المتخلجة في نفوسهم ، و المتصلة بخواطرهم ، و الحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، و بعيدة وحشية ، و محجوبة مكنونة ، و مكنونة ، و موجودة

[1] – المصدر السابق : 17 .

في معنى معدودة ، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ، و لا حاجة أخيه و خليطه ، و لا معنى شريكه و المعاون له على أموره ، و على ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره . و إنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها ، و إخبارهم عنها ، و استعمالهم إياها . و هذه الخصال هي التي تقربها من الفهم ، و تجليها للعقل ، و تجعل الخفي منها ظاهرا ، و الغائب شاهدا ، و البعيد قريبا .) .

يقول ، أيضا ، عن البيان :

(و البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، و هتك الحجاب دون الضمير ، حتى يغضي السامع إلى حقيقته ، و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، و من أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري القائل و السامع ، إنما هو الفهم و الإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع .) [1]

تعرض الجاحظ في كتاب البيان و التبيين إلى مفهوم البلاغة عند الأمم المختلفة ، و عند الدارسين كعلماء الكلام و النساك و الكتاب . و انتقل ، بعد ذلك ، للحديث عن الشعر و الشعراء ، و عن الخطب و الخطباء . و كانت للجاحظ وقفات عند صفات

---

[1] – المصدر السابق : ص : 55 .

الشعر الجيد ، و مذاهب الشعراء ، كما ذكر مقومات الخطابة و موضوعاتها الأساسية ، و اختلاف مكانتها باختلاف العصور و الأمم ، و تكلم عن أزياء الخطباء و عادتهم في خطبهم .

الواضح من البيان و التبيين أن الخطابة في عصر الجاحظ كانت عنوان الفصاحة و البلاغة و أداة الجدال و علم الكلام ، فكان الوراقون يعنون بجمع الخطب و تدوينها و إذاعتها استجابة لروح العصر . و أصبح للخطابة في كتاب الجاحظ أصول و قواعد و قواعد و طرق و أساتذة ، كذلك كان فيها عيوب يجدر بالمرء تجنبها كما فعل شيخه المعتزلي واصل بن عطاء الذي راض نفسه على تجنب النطق بالراء للثغة كانت فيه .[1]

لم يتقيد الجاحظ بهذه المواضع الخاصة بالشعر و النثر ، بل كثير ما كان يستطرد من موضوع إلى آخر ، كالرد على الشعوبيين أو أن يتحول إلى باب آخر ، و من شيء إلى ضده .

أما منهج الجاحظ في البيان و التبيين فلا تعثر له على ملامح واضحة . و قد رده الدكتور عز الدين إسماعيل إلى جملة من أسباب ، و هي :

---

[1] – د . الدقلق عمر : مصادر التراث العربي . ص : 91 ، 92 .

إن أسلوب التلقين كان متحكما في عقول الباحثين ، و هو أسلوب يعتمد على الاستطراد ، و عندما مارس هؤلاء الباحثين عملية التأليف ظهر أثر هذا الأسلوب على أعمالهم التي كان طابعها المميز .

عندما نهض العلماء الأوائل إلى تعريف مباحث العلوم كالبلاغة على سبيل المثال ، فقد اتسمت تعريفاتهم بالتشعب و التفرع . و قد هذا التنوع إلى تشعب البحوث التي تناولت النماذج الشعرية و النثرية .

كان رصيد العلماء الأوائل الثقافي رصيدا كبيرا و ضخما ، مما حدا بالجاحظ و غيره ، أثناء التأليف ، إلى الطابع الموسوعي في العرض .[1]

قيمة البيان و التبيين :

يعد كتاب البيان و التبيين من المؤلفات التي نالت شهرة واسعة لدى الدارسين ، إذ شكل منعرجا في تاريخ التأليف الأدبي ، و قد أكسبه ذلك التنوع في المواضع و الفنون أهمية كبيرة ، جعله نموذجا للكتاب فيما بعد ، و قد أدى ذلك إلى ظهور موسوعات الأدب العربي القديم كعيون الأخبار لابن قتيبة

---

[1] – د عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي : ص 143

، و الكامل للمبرد ، و العقد الفريد لابن عبد ربه ، و الأغاني لأبي فرج الأصفهاني مثلا .

قد أعجب القدماء بكتاب البيان و التبيين ، و فيه قال المسعودي :

(و للجاحظ كتب حسان ، منها كتاب البيان و التبيين و هو أشرفها لأنه جمع فيه بين المنثور و المنظوم و غرر الأشعار و مستحسن الأخبار و بليغ الخطب .) .

و قد جاء في مقدمة ابن خلدون قوله : (سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن و أركانه – يعني الأدب – أربعة دواوين و هي أدب الكاتب لابن قتيبة و كتاب الكامل للمبرد و كتاب البيان و التبيين للجاحظ ، و كتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي ، و ما سوى هذه الأربعة فتبع لها فروع عنها .) .[1]

أما في العصر الحديث فليس هناك باحث في أي جانب من جوانب التراث العربي لم يستعن بالبيان و التبيين . و يرجع هذا بطبيعة الحال إلى ما يحتويه عليه الكتاب من ثروة هائلة و متنوعة من التراث العربي .

طبعات البيان و التبيين :

---

[1] – د . الدقلق عمر : مصادر التراث العربي . ص : 90 .

نشر كتاب البيان و التبيين بدار الكتب المصرية سنة [illegible] ، ثم كانت طبعة حسن القكهاني و الشيخ الزهراوي الغمراوي ما بين [illegible]ه – [illegible]ه في ثلاثة أجزاء .

نشره حسن السنوسي عام [illegible]ه في ثلاثة مجلدات .

ظهرت بعد ذلك طبعة جديدة علم [illegible]م / [illegible]ه و قد قام بتحقيقها الأستاذ عبد السلام هرون ، و قد تضمنت هذه الطبعة عدة فهارس تساعد القارئ الباحث في الاستفادة من محتويات الكتاب . ظهرت طبعة أخرى للكتاب عام [illegible]م عن مكتبة الخانجي .[1]

[1] – د عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي : ص 144 ، 145 .

ثانيا أمهات المصادر اللغوية :

كتاب الخصائص لابن جني

- تعريف صاحب الكتاب :

مؤلف كتاب «الخصائص» هو « أبو الفتح عثمان بن جني» . كان أبوه جني روميا من موالي سليمان بن فهد بن أحمد أزدي . لذلك بأبي جني الأزدي . ولد بمدينة «الموصل» سنة « 322» ه . توفي على الأرجح في بغداد عام 392 ه .

أخذ ابن جني النحو عن الأخفش ، ثم عن أبي علي الفارسي (ت 377ه) ، إذ صحبه ابن جني أربعين عاما حتى توفي أبو علي ، فخلفه ابن جني في مكانه . و تروي كتب الأدب أن أستاذه أبا علي كان يسأل تلميذه ابن جني في بعض المسائل ، ويرجع إلى رأيه فيها .

و قد روى ابن جني عن الأعراب الفصحاء الثقاة ، شأنه شأن علماء عصره ، كما روى عن أبي بكر محمد بن الحسن المعروف بابن معم ، و هو من القراء . روى عن ثعلب و المبرد و أبي الفرج الأصفهاني .[1]

اجتمع «ابن جني» بالمتنبي بحلب عند سيف الدولة بن حمدان، وفي شيراز، عند «عضد الدولة» وكان المتنبي يجله ويقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: سلوا صاحبنا أبا الفتح.

وابن جني أول من شرح ديوان المتنبي، وقد شرحه شرحين، الشرح الكبير والشرح الصغير، والأخير هو الباقي لنا، وقد تعقّب معاصروه ومن جاء بعدهم شرحه. وكان «ابن جني» يحسن الثناء على المتنبي في كتبه،

---

[1] – د . عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي . ص : 339.

ويستشهد بشعره في المعاني والأغراض، ويعبر عنه بشاعرنا، يقول في «الخصائص»: «وحدثني المتنبي شاعرنا، وما عرفته إلا صادقا».[1]

و كان ابن جني حجة في علم التصريف ، إذ كان يصحح الأخطاء التي وردت في أمهات المعاجم ، و منها كتاب العين و الجمهرة لابن دريد . فهو عندما يصحح أخطاء كتاب العين يبرئ الخليل من تلك الأخطاء ، يقول ابن جني :

(أما كتاب العين ففيه بن التخليط و الخلل و الفساد ما لا يجوز أن يحمل عن أصغر أتباع الخليل فضلا عن نفسه . و لا محالة أن هذا التخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره .) .

يقول ابن جني في نقد كتاب الجمهرة :

(و أما كتاب الجمرة ففيه أيضا من اضطراب التصنيف و فساد التصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ، و لما كتبته واقعت في متونه و حواشيه جميعا من التنبيه على هذه المواضع ما استحيت على كثرته ، ثم إنه لما طال علي أومأت إلى بعضه و ضربت البتة على بعضه .) .[2]

بلغ «أبو الفتح ابن جني» في علوم اللغة العربية من الجلالة ما لم يبلغه إلا القليل، وقد اصبح في مجرى القرون مضرب المثل في معرفة النحو التبريز فيه، ويبدو فضله في كتبه و مباحثه، وهو يعد بحق فيلسوف العربية، حيث يبدو على مباحثه الاستقصاء والتعمق في التحليل، واستنباط المبادئ والأصول من الجزئيات ومن مباحثه التي اهتدى إليها وسبق بها، الاشتقاق الأكبر، كما اشتهر ببلاغته وحسن تصريف الكلام والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء وقد فتح في العربية أبوابا لم يتسن فتحها لسواه، ووضع أصولا في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني، حيث كان بذلك إماما يحتاج إلى اتباع يمضون وراءه، ويبنون على بحوثه.[3]

لابن جني كتب عديدة ، و قد أحصى ياقوت الحموي في معجم الأدباء 49 كتابا [4] ، بينما أحصى ابن النديم في الفهرست 34 كتابا ، منها :

كتاب التعاقب في العربية ، كتاب المغرب في القوافي ، كتاب التلقين في النحو ، كتاب اللمع ، كتاب المذكر و المؤنث ، كتاب الصناعة .[5]

- كتاب الخصائص :

كتاب الخصائص ، كما يظهر من عنوانه ، كتاب يدرس خصائص اللغة العربية ، يشتمل على مباحث نظرية عامة كالفرق بين الكلام و القول ، و مسألة نشأة اللغة هل هي اصطلاحية أم توفيقية ؟ و يشتمل كذلك على قضايا تتعلق باللغة العربية و فلسفتها .

---

[1] – محمد سطام الفهد : كتب في الذاكرة . ملف إنترنت .

[2] – د عز الدين إسماعيل : المرجع نفسه . ص : 340 .

[3] – – محمد سطام الفهد : كتب في الذاكرة . ملف إنترنت .

[4] – د عز الدين إسماعيل : المرجع نفسه . ص : 341.

[5] – ابن النديم : الفهرست . 400 ، 401 .

ألف ابن جني كتاب الخصائص لبهاء الدولة الذي تولى الملك في بغداد ما بين 379ه 402ه . يقول : (هذا أطال الله بقاء مولاه الملك السيد المنصور المؤيد بهاء الدولة و ضياء الملة ، و غاث الأمة و أدام ملكه و نصره .) [1]

يشير ابن جني أم قصده من تأليف الخصائص ، لم يكن ، بأية حال من الأحوال ، الخوض في المسائل الجزئية ، و إنما النظر المتمعن في القضايا الكلية المتعلقة بأصول اللغة و مبادئها ، يقول في المقدمة :

(و ذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين { يقصد مدرستي البصرة و الكوفة } تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام و الفقه . فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يلمم فيه بما نحن عليه إلا حرفا أو حرفين في أقواله ، و قد نعلق عليه به . و سنقول في معناه .) . [2]

يرى العديد من العلماء أن كتاب الخصائص يبحث في مسائل النحو و الصرف . يقول عن ذلك ابن الأنباري في طبقاته : (و أما أبو الفتح عثمان بن جني النحوي فإنه كان من حذاق أهل الأدب و أعلمهم بعلم النحو و التصريف ، صنف في النحو و التصريف كتبا أبدع فيها ، كالخصائص ، و المنصف و سر الصناعة .. و لم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف .)

غير أن الناظر المتمعن في أبواب الخصائص يجد أبا الفتح كثيرا ما يتجاوز القضايا الجزئية للنظر في قضايا اللغة العامة . لذلك فهو كثيرا ما يتخذ القضايا الجزئية وسيلة للنظر في القضايا الكلية ، يقول ابن جني في باب الفرق بين القول و الكلام :

(و لنقدم أمام القول على الفرق بينهما ، طرفا من ذكر أحوال تصريفهما و اشتقاقهما ، مع تقلب حروفهما ، فإن هذا موضع يتجاوز قد الاشتقاق ، و يعلوه إلى ما فوقه ، و سنراه فنجده طريقا غريبا ، و مسلكا من هذه اللغة الشريفة عجبا .) . [3]

و الواقع أن كتاب «الخصائص» هو من افضل كتب ابن جني التي تجاوزت الخمسين، حيث قسم الكتاب إلى أربعة وخمسين باباً، يبدأ بها بباب القول على الفصل بين الكلام والقول، فيبحث في مادة «قول» في تقلباتها ، والتي تدور معانيها على الحركة، بينما تدور معاني «كلم» في تق لباتها على القوة والشدة ثم يأتي باب القول على اللغة وتصريفها، وباب القول على النحو، وباب القول على الإعراب والبناء، وباب القول على أتصول اللغة، أهي الهام أم اصطلاح.

ثم يأتي ذكر علل العربية، الكلامية هي أم فقهية، وباب في مقاييس العربية وباب في جواز القياس على ما يقل، وباب في الاستحسان، وباب في تخصيص العلل، وباب في الاحتجاج بقول المخالف، وباب في الرد على من ادّعى على العرب وعنايتها بالألفاظ، وإغفالها المعاني.

وعلى هذا فإن كتاب «الخصائص» لابن جني. يعد من أهم الكتب العربية التي ناقشت مسائل في بنية اللغة وفقهها، ويدرك الدارسون ا لآن أهمية الكتاب، ليس في عصره فحسب، بل في وقتنا الحاضر، وبخاصة أمام النظريات الجديدة في بنية اللغة، بدءاً من التفكيكية إلى البنيوية إلى اللسانيات المعاصرة. وقد فتح «ابن جني» في العربية أبوابا جديدة، لكن الذين جاءوا بعده، لم يكونوا على سويته المعرفية كي يكملوا ما كان قد بدأه. كان ابن

---

[1] – ابن جني : الخصائص . تحقيق محمد علي النجار . بيروت . دار الكتاب العربي . الجزء الأول : ص : 1

[2] – المصدر السابق : ص : 2 ..

[3] – ابن جني : الخصائص /1 : ص : 7 .

جني بصرياً، حيث كانت المذاهب النحوية هي: المذهب البصري، المذهب الكوفي، ومذهب حدث من خلط المذهبين والتخير منهما، وهو مذهب البغداديين.

على أن الرجل كان عالماً بالدرجة الأولى ويبحث عن العلم أينما وجده، بصرياً كان أو غيره، فهو كثير النقل عن اناس ليسوا بصريين في النحو واللغة وقد يرى في النحو ما هو بغدادي، فتراه يثبت ذلك.

ولعل عجزه أمام «أبى علي الفارسي» في أول لقاء بينهما، وكان شاباً صغيراً في مسألة «قلب الواو ألفاً» جعله يهتم بالصرف إلى ابعد الحدود.

لقد عاش «ابن جني» في عصر ضعف الدولة العباسية، فالخلفاء مغلوبون على أمرهم، والآمر لغيرهم، فحصر في أيدي الإخشيديين، ثم في أيدي الفاطميين وهكذا.. ومع ذلك فقد وصل «ابن جني» إلى مرتبة علمية لم يصل إليها إلا القليل .[1]

نموذج من كتاب الخصائص :

باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض[2]

---

[1] – محمد سطام الفهد : كتب في الذاكرة . ملف إنترنت

[2] – ابن جني : الخصائص / ج2 : ص : 306 و ما بعدها .

هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً ساذجاً من الصنعة. وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه. وذلك أنهم يقولون: إن " إلى " تكون بمعنى مع. ويحتجون لذلك بقول الله سبحانه: { مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ} : أي مع الله.

ويقولون: إن " في " تكون بمعنى على ويحتجون بقوله عز اسمه: { و ◌َلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} : أي عليها.

ويقولون: تكون الباء بمعنى عن وعلى ويحتجون بقولهم: رميت بالقوس أي عنها وعليها كقوله: أرمى عليها وهي فرع أجمع وقال طفيل: رمت عن قسي الماسخي رجالهم بأحسن ما يبتاع من نبل يثرب أرمى علي شريانة قذاف تلحق ريش النبل بالأجواف وغير ذلك مما يوردونه.

ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلاً هكذا لا مقيداً لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد وأنت تريد: معه وأن تقول: زيد في الفرس وأنت تريد: عليه وزيد في عمرو وأنت تريد: عليه في العداوة وأن تقول: رويت الحديث بزيد وأنت تريد: عنه ونحو ذلك مما يطول و يتفاحش. ولكن سنضع في ذلك رسماً يعمل عليه ويؤمن التزام الشناعة لمكانه.

اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه.

وذلك كقول الله عز اسمه: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ} وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة وإنما تقول: رفثت بها أو معها لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء وكنت تعدي أفضيت بإلى كقولك: أفضيت إلى المرأة جئت بإلى مع الرفث إيذاناً وإشعاراً أنه بمعناه كما صححوا عور وحول لما كانا في معنى اعور وإن شئتم تعاودونا عوادا لما كان التعاود أن يعاود بعضهم بعضاً.

وعليه جاء قوله: وليس بأن تتبعه اتباعاً ومنه قول الهل سبحانه: { وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا } . وأصنع من هذا قول الهذلي: ما إن يمس الأرض إلا منكب منه وحرف الساق طي المحمل فهذا على فعل ليس من لفظ هذا الفعل الظاهر ألا ترى أن معناه: طوى طي المحمل فحمل المصدر على فعل دل أول الكلام عليه. وهذا ظاهر.

وكذلك قول الله تعالى: { مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ} أي مع الله وأنت لا تقول: سرت إلى زيد أي معه لكنه إنما جاء من أنصاري إلى الله لما كان معناه: من ينضاف في نصرتي إلى الله فجاز لذلك أن تأتي هنا إلى. وكذلك قوله عز اسمه: { هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى} وأنت إنما تقول: هل لك في كذا لكنه لما كان على هذا دعاء منه صلى الله عليه وسلم صار تقديره أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى. وعليه قول الفرزدق: كيف تراني قالياً مجنى أضرب أمري ظهره للبطن ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً وقد عرفت طريقه. فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به فإنه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها.

وفيه أيضاً موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد حتى تكلف لذلك أن يوجد فرقاً بين قعد وجلس وبين ذراع وساعد ألا ترى أنه لما كان رفث بالمرأة في معنى أفضى إليها جاز أن يتبع الرفث الحرف الذي بابه الإفضاء وهو " إلى ".

وكذلك لما كان هل لك في كذا بمعنى أدعوك إليه جاز أن يقال: هل لك إلى أن تزكى كما يقال أدعوك إلى أن تزكى وقد قال رؤبة ما قطع به العذر ههنا قال: بالٍ بأسماء البلى يسمى فجعل للبلى وهو معنى واحد أسماء. وقد قدمنا هذا فيما مضى من صدر كتابنا.

ومما جاء من الحروف في موضع غيره على نحو مما ذكرنا قوله: إذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها أراد: عنى. ووجهه: أنها إذا رضيت عنه أحبته وأقبلت عليه.

فلذلك استعمل على بمعنى عن وكان أبو علي يستحسن قول الكسائي في هذا لأنه قال: لما كان رضيت ضد سخطت عدى رضيت بعلى حملاً للشيء على نقيضه كما يحمل على نظيره

وقد سلك سيبويه هذه الطريق في المصادر كثيراً فقال: قالوا كذا كما قالوا كذا وأحدهما ضد الآخر.

ونحو منه قول الآخر: إذا ما امرؤ ولى علي بوده وأدبر لم يصدر بإدباره ودي أي عني.

ووجهه أنه إذا ولي عنه يوده فقد استهلكه عليه كقولك. أهلكت على مالي وأفسدت علي ضيعتي.

وجاز أن يستعمل على ههنا لأنه أمر عليه لا له. وقد تقدم نحو هذا. وأما قول الآخر: شدوا المطي على دليل دائب من أهل كاظمةٍ بسيف الأبحر فقالوا معناه: بدليل.

وهو عندي أنا على حذف المضاف أي شدوا المطي على دلالة دليل فحذف المضاف. وقوي حذفه هنا شيئاً لأن لفظ الدليل يدل على الدلالة. وهو كقولك: سر على اسم الله.

و " على " هذه عندي حال من الضمير في سر وشدوا وليست موصلة لهذين الفعلين لكنها متعلقة بمحذوف حتى كأنه قال: سر معتمداً على اسم الله ففي الظرف إذاً ضمير لتعلقه بالمحذوف.

وقال: أي على سرحة وجاز ذلك من حيث كان معلوماً أن ثيابه لا تكون في داخل سرحة لأن السرحة لا تنشق فتستودع الثياب ولا غيرها وهي بحالها سرحة. فهذا من طريق المعنى بمنزلة كون الفعلين أحدهما في معنى صاحبه على ما مضى. وليس كذلك قول الناس: فلان في الجبل لأنه قد يمكن أن يكون في غار من أغواره أو لصب من لصابه فلا يلزم أن يكون عليه أي عالياً فيه.

وقال: وخضخضن فينا البحر حتى قطعنه على كل حال من غمارٍ ومن وحل قالوا أراد: بنا. وقد يكون عندي على حذف المضاف أي في سيرنا ومعناه: في سيرهن بنا. ومثّل قوله كأن ثيابه في سرحة: قول امرأة من العرب: هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا لأنه معلوم أنه لا يصلب في داخل جذع النخلة وقلبها. وأما قوله: وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال فقالوا: أراد: مع ثلاثة أحوال.

وطريقه عندي أنه على حذف المضاف يريد: ثلاثين شهراً في عقب ثلاثة أحوال قبلها. وتفسيره: بعد ثلاثة أحوال. فالحرف إذاً على بابه وإنما هنا حذف المضاف الذي قد شاع عند الخاص والعام.

فأما قوله: يعثرن في حد الظبات كأنما كسيت برود بني تزيد الأذرع فإنه أراد: يعثر بالأرض في حد الظبات أي وهن في حد الظبات كقولك: خرج بثيابه أي وثيابه عليه وصلى في خفيه أي وخفاه عليه.

وقال تعالى: { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ} فالظرف إذاً متعلق بمحذوف لأنه حال من الضمير أي يعثرن كائنات في حد الظبات.

وأما قول بعض الأعراب: نلوذ في أم لنا ما تغتصب من الغمام ترتدي وتنتقب فإنه يريد بأم: سلمى أحد جبلى طيئ. وسماها أما لاعتصامهم بها وأويهم إليها. واستعمل في موضع الباء أي نلوذ بها لأنهم إذا لاذوا بها فهم فيها لا محالة إذ لا يلوذون ويعصمون بها إلا وهم فيها لأنهم إن كانوا بعداءعنها فليسوا لائذين بها فكأنه قال: نسمك فيها ونتوقل فيها. فلأجل ذلك ما استعمل في مكان الباء. فقس على هذا فإنك لن تعدم إصابة بإذن الله